الإيمان بالكتب

أ.د. محمد بن عبدالرحمن أبوسيف الجهني

أستاذ العقيدة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجهني، محمد عبدالرحمن

الإيمان بالكتب./ محمد عبدالرحمن الجهني .– المدينة المنورة، ١٤٣١هـ

١٥٢ ص ؛ ١٢ × ١٧سم

ردمك: ٨-٥٦٧٩-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١–الكتب السماوية ٢– الايمان (الاسلام) أ.العنوان

ديوي ٢٤١ ١٤٣١/٧٢٦٢

رقم الإيداع: ١٤٣١/٧٢٦٢

ردمك:٨-٥٦٧٩-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

فاكس (٠٤٨٤٧٣٥٢٩) بريد إلكتروني (maas٣٧٥@gmail.com)

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

فهذه مباحث فيها بيان الإيمان بالكتب وهو أحد أركان الإيمان، تشتمل على بيان معناه وأحكامه وآدابه وتفصيل بعض مفرداته.

وأصل هذه المباحث محاضرات ألقيتها في مقرر (الإيمان بالكتب) من منهج السنة الثالثة في كليات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، منذ عام ١٤١١هـ،وكان طلاب السنة الثالثة بكلية الحديث في عام ١٤١٦هـ

يدونون ما يسمعونه مني في محاضراتي تلك فيهم، وجمعوه في مذكرة بخطوط عدد منهم ضمت جميع محاضراتي فيهم في : الإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والصحابة، والإمامة، وأشراط الساعة، والبرزخ واليوم الآخر،وصوروا نسختها، وتداولها الطلاب والزملاء في الجامعة، ولاتزال عندي نسخة منها.

وقد قابلت ماكتبه الطلاب عني في الإيمان بالكتب من مذكرهم تلك على أصوله مماهو في أوراقي التي عندي، وحررته مهذبا موثقا، وأضفت إلى ذلك إضافات يسيرة في مواضع معدودة، وقدمته في هذه المطبوعة للنشر رجاء النفع به.

والله الموفق للصواب لا شريك له.

أ.د. محمد بن عبدالرحمن أبوسيف الجهني

﴿ الإيمان بالكتب ﴾

المراد بالكتب:

الكتب: جمع كتاب، والكتاب لفظ عربي مشتق من الفعل "كتب"، والكاف والتاء والباء أصل في لغة العرب لمعنى ضمِّ الشيء بعضه إلى بعض، تقول العرب: تكتّب الرجل، إذا حزم ثيابه عليه وضم بعضها إلى بعض، وتسمى العرب الخِياطة كتابة لأن الثوب يضم بعضه إلى بعض بها، ومنه "الكتيبة" سميت بذلك لأنها تضم جماعة من الجنود(١).

ومنه سمي الكتاب كتاباً، لأن مباحثه وأبوابه جمعت وضم بعضها إلى بعض فيه بالكتابة.

---

(١) انظر مقاييس اللغة ٥/١٥٨، ولسان العرب ١/٦٩٨.

فالمقصود بالكتب في قول الشرع: "الإيمان بالكتب" على هذا الأصل اللغوي هو: ما جمع وضم في كتاب مما أنزله الله على أنبيائه، وظاهر حديث أبي ذر الذي فيه سؤاله النبي صلى الله عليه وسلم: "كم كتاباً أنزل الله؟" قال صلى الله عليه وسلم: "أنزل مائة وأربع كتب" إن صح الحديث(١) أن هذا هو المراد.

ولكن قد يكون المراد بالكتب جميع ما أنزل الله من وحيه على رسله سواء جمع في كتاب أم لا، ويكون التعبير بالكتب من باب ذكر الخاص وإرادة العام، ومن التعبير بالجزء عن الكل، لأن الذي في أصول الإيمان وجوب الإيمان بجميع ما أنزل الله على

(١) وهو لم يصح، وسيأتي الكلام عليه تحت عنوان "عدد كتب الله".

الأنبياء، ومعلوم أنه ليس كل نبي معه كتاب، قال الله: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾ (١) فجعل الإيمان إيماناً بجميع ما أنزل إلى المؤمنين على الأنبياء وبجميع ما أوتوه، فهذا هو أصل الإيمان في هذا الباب، فيكون ذكر الكتب على الوجه الذي ذكرنا، وقد قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ (٢) فذكر "الكتاب" وهو اسم جنس لكتب الله، وذكر معه "ما أرسلنا به رسلنا" أي

(١) البقرة ١٣٦.

(٢) غافر ٧٠.

من الوحي وسائر الآيات.

المراد بالإيمان بالكتب:

معلوم من دلالات نصوص الوحيين، وهو أحد أصول أهل السنة، أن الإيمان قول القلب واللسان والجوارح.

والإيمان بالكتب يجري على هذه الثلاث، فهو إيمان القلب واللسان والجوارح بالكتب،

أما صورة إيمان القلب بالكتب فهي:

اعتقاده أنها مترلة من عند الله، وهي كلامه ووحيه لأنبيائه، منه بدأت، ليست من إنشاء الرسل.

واعتقاد أنها تضمنت مراد الله من خلقه اعتقاداً وشريعةً وسلوكاً.

واعتقاد وجوب العمل بمقتضاها وتعبد الله به.

وأما صورة إيمان اللسان فهي:

الإقرار بذلك الذي اعتقده القلب، والإخبار عنه، والشهادة به.

وأما صورة إيمان الجوارح فهي:

امتثالها أوامر الله في كتبه، وكفها عن نواهيها، وتأدبها بآدابها.

تسميات الكتب:

أطلق الله على كتبه أسماءً متنوعة الألفاظ، كل لفظ يدل على معنى جليل هو من صفاتها، وهذا عرضٌ لذلك:

- أما تسميتها بالكتب، فتقدم ذكر معناه، وورده كثير في كتاب الله، منه قوله سبحانه: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾(١).

- وسماها الله بـــ "الكتاب" وهو على الجنس، كما في قوله: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾(٢).

---

(١) البقرة ٢٨٥.

(٢) البقرة ١٧٧.

- وسمى كتبه "الزبر"، كما في قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[١] أي ذكر القرآن في كتب الأنبياء السابقين[٢]، و"الزبر" جمع زبور، وقد سماها الله "زبوراً" على الجنس في قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾[٣] أي في كتب الأنبياء بعد أم الكتاب[٤]، وهو مشتق من الفعل "زبر"، وهو في اللغة لثلاثة أصول من المعاني[٥] :

١- بمعنى أحكم وأتقن، تقول: زبر الكاتب الكتاب إذا أتقنه وأحكمه. فيكون معنى تسمية كتب الله

---

(١) الشعراء ١٩٦

(٢) انظر زاد المسير ١٤٤/٦.

(٣) الأنبياء ١٠٥.

(٤) انظر زاد المسير ٣٩٧/٥.

(٥) انظر مقاييس اللغة ٤٤/٣، والصحاح ٦٦٧/٢، وتفسير القرطبي ٢٩٦/٤.

به على هذا الأصل: أنها محكمة الألفاظ والمعاني.

٢-بمعنى حبس وزجر، تقول: زبر الوالد ولده، أي: حبسه وزجره عن السوء. فيكون معنى تسمية كتب الله به على هذا الأصل: أنها تحبس الناس عن معصية الله وتزجرهم عنها.

٣-بمعنى كتب، وبمعنى قرأ، فيكون معنى تمسية كتب الله به على هذا الأصل: أنها تكتب وتقرأ.

وهذه المعاني جميعها حق في كتب الله، فيحمل معنى تسميتها "زبراً" عليها جميعها مجتمعة.

- وسمى الله كتبه "صحفاً" كما في قوله: ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[1] وهو مشتق من الفعل: "صحف"، وهو في اللغة يدل على الانبساط، ومنه الصَّحفة وهي القصعة يبسط فيها الطعام للأكل، فيكون معنى تسمية كتب الله به على هذا: أنها تُبسط وتُنشر لقراءتها.

(١) طه ١٣٣.

ووردت أسماءٌ أعلام على آحاد كتب الله خاصة بكل واحد منها سيأتي ذكرها عند التفصيل إن شاء الله.

حكم الإيمان بالكتب:

الإيمان بالكتب واجب، بل هو من آكد الواجبات، وقد وردت الأدلة في الشرع تقرر وجوبه من وجوه عديدة، منها:

١- الإخبار عن كتب الله أنه أنزلها على رسله، وهذا الخبر واجب الإيمان به لأنه خبر الرب سبحانه والجحود به كفر، ومن أمثلة هذا الإخبار: قوله سبحانه: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾(١) فأخبر أنه أنزل مع النبيين كتباً بالحق، ومنه قوله: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾(٢)، ونحو هذا كثير.

---

(١) البقرة ٢١٣

(٢) الحديد ٢٥

٢- الأمر المباشر بالإيمان بالكتب، ومنه قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ ﴾[(١)] فأمر بالإيمان بكتب الأنبياء جميعاً، ومنه قوله: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ ﴾[(٢)]، ونحو هذا كثير.

٣- إخباره سبحانه بأن الإيمان بالكتب من البر، قال سبحانه: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ الآية[(٣)] والبر من الأسماء

(١) النساء ١٣٦.

(٢) البقرة ١٣٦.

(٣) البقرة ١٧٧.

الجامعة لما يحبه الله ويرضاه.

٤- إخباره سبحانه أن النبي والمؤمنين يؤمنون بالكتب في معرض الثناء عليهم وتسجيل صفات الإيمان لهم التي بها يستحق العبد صفة الإيمان وحكمه، قال سبحانه: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾(١)، وقال سبحانه في صفات المتقين: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾(٢)، وقال في مدح مريم عليها السلام بعد أن ضربها مثلاً للذين آمنوا: ﴿ وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾(٣)، ونحو هذا.

٥- إخباره سبحانه بأن تكذيب المكذبين وكفرهم إنما كان لجحودهم بالكتب، فمن جحد بالكتب كفر وخرج

---

(١) البقرة ٢٨٥.

(٢) البقرة ٤.

(٣) التحريم ١٢

من الملة، فظهر ملازمة وجوب الإيمان بالكتب للإيمان، قال سبحانه: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾[(١)] وقال سبحانه: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾[(٢)] أي جاءتهم الرسل بالكتب ولكنهم كذبوا بها.

٦- إخباره سبحانه بأن الكفر بالكتب ضلال بعيد، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[(٣)] فوصف من كفر بالكتب بأنه "قد ضل" وقد للتحقيق، ثم لم يكتف بهذا حتى أكده بالمصدر فقال: "ضلالاً" ثم لم يكتف بهذا حتى أكد المصدر بوصفه فقال: "بعيداً" وهو دليل مقرر لكون

---

(١) آل عمران ١٨٤.

(٢) فاطر ٢٥.

(٣) النساء ١٣٦.

الإيمان بالكتب واجب.

٧- إخباره سبحانه عن جزاء المكذبين بالكتب، قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [1] وفي هذا دلالة على وجوب الإيمان بالكتب.

منزلة الإيمان بالكتب من الدين:

ما تقدم ذكره من وجوه دلالات النصوص على وجوب الإيمان بالكتب دال على تأكده تأكداً شديداً، وعلى لزومه للإيمان لا ينفك عنه بحال، ولذلك كان الإيمان بالكتب من أركان الإيمان، فهو ركن في الدين لا يقوم إلا به، وقد عدّه النبي صلى الله عليه وسلم في أركان الإيمان، كما في حديث جبريل عليه السلام حين سأل النبي صلى الله عليه

---

(١) غافر ٧٠-٧٢.

وسلم: فأخبرني عن الإيمان؟ قال صلى الله عليه وسلم: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله" الحديث[١].

وقد عده الله سبحانه في أركان الإيمان في آيات منها آية البقرة: ﴿ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾[٢] وغيرها.

الحكمة من إنزال الكتب:

لا يفعل الله عز وجل إلا لحكمة، هو مترّه سبحانه وتعالى عن العبث واللعب، قال عز وجل: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا ﴾[٣]، وقال: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾[٤]، وقد وصف نفسه بـــ"الحكيم" حين

(١) أخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٣٦/١ رقم ١.

(٢) البقرة ٢٨٥.

(٣) المؤمنون ١١٥.

(٤) الدخان ٣٨.

ذكر إنزاله كتبه، قال سبحانه: ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾(١)، وقال: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾(٢) وقال في مواضع: ﴿ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾(٣) وقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾(٤).

وحكمة الله لا يحاط بها ولكنه يتفضل على عباده رحمة منه بهم بإطلاعهم على ما في قدرتهم إدراكه من حكمته سبحانه: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾(٥)

---

(١) الشورى ٣.

(٢) الشورى ٥١.

(٣) الزمر ١، والجاثية ٢، والأحقاف ٢.

(٤) النمل ٦.

(٥) البقرة ٢٥٥.

ويبقى وراء ذلك مما لا يعلمونه ما لا يحاط به، فإن حكمة الله صفته وقد قال عن نفسه سبحانه: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾[(١)]، وقد ذكر الله عز وجل بعض الحكم من إنزاله الكتب على أنبيائه إلى خلقه، فمن ذلك:

١- إقامة الحجة على الخلق وقطع المعذرة عنهم في التوحيد، قال سبحانه: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[(٢)] قوله: "لئلا" نص في التعليل، فهذه من حكم إنزال الكتب، وهو مفهوم وإن لم يُذكر في الآية إنزال الكتب، لأنه لا معنى لإرسال الرسل إلا بما أُرسلوا به من الوحي في الكتب وغيرها، والبشارة والنذارة هي فيما في آيات الكتب وسائر الوحي.

---

(١) طه ١١٠.

(٢) النساء ١٦٥.

٢- رد الناس إلى التوحيد إذا اختلفوا فيه، وحكمه بينهم فيه، كما قال سبحانه: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾[1] أي كان الناس أمة واحدة على التوحيد فاختلفوا عليه كما صح عن ابن عباس رضي الله عنه[2]، فبعث الأنبياء معهم الكتب مشتملة على الحق في شأن التوحيد ليحكم بين الناس بها فتردهم إلى الحق، فهذا حكم بين الناس في الملة والدين إذا اختلفوا فيه.

٣- أن تحكم بين الناس بالعـــدل فيما بينهم، قال الله: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾[3] ففي الكتب الأوامر

---

(١) البقرة ٢١٣.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٣/٢٥١.

(٣) الحديد ٢٥.

والنواهي والتشريعات التي فيه العدل والقسط في الديانة والمعاملات والجنايات والمواريث وغير ذلك[١]، يتحاكم بها الناس لإقامة العدل بينهم.

وهذه الحكم الثلاث متعلقة بالمرسل إليهم الذين أنزلت الكتب إليهم وثمة حكمة متعلقة بالمرسلين الذين أنزلت الكتب عليهم وهي:

٤- تأييد الرسل وإظهار صحة رسالاتهم وصدق نبواتهم، قال سبحانه: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾[٢] وقال: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾[٣]، أي وقع فيهم

---

(١) انظر تفسير ابن سعدي للآية.

(٢) آل عمران ١٨٤.

(٣) فاطر ٢٥.

تكذيب الرسل مع أن معهم ما يؤيد رسالاتهم ويشهد لصحتها وصدق الرسل من البينات والكتب المنزلة عليهم المشتملة على الحق الظاهر النيِّر، فكانت هذه الدلائل مانعة من التكذيب لظهور دلالتها على ما ذكرنا. فهذا دال على أن من الحكمة لإنزال الكتب تأييد الرسل لأن فيها من الحق والعدل ما يمنع تكذيبها والشك فيها.

الواجب على العبد لكتب الله:

الواجب على العباد لكتب الله أخذها بقوة كما قال الله لنبيه يحيى عليه السلام: ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ ﴾[1] أي بجد واجتهاد ومثابرة على حفظ ألفاظها وفهم معانيها والعمل بأوامرها ونواهيها[2] وتعليمها للناس.

وقد ذكر الله هذا في شأن يحيى عليه السلام ليكون هدىً يقتدي به المؤمنون كما قال سبحانه بعد أن قص

(١) مريم ١٢.

(٢) انظر تفسير ابن سعدي للآية.

عدداً من الأنبياء في سورة الأنعام: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ﴾[١].

ومعنى "خذ الكتاب بقوة" هو معنى النصيحة لكتاب الله الوارد ذكرها في قوله صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة –قالها ثلاثاً–، قالوا: لمن يا رسول الله؟، قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[٢]، فجعل النصيحة هي الدين، وفسر الدين بها، والنصيحة نقيض الغش فهي تخليص الشيء من الشوائب[٣]، فالمراد الإتيان بحقوق هذه المذكورات محققة خالصة من القوادح، وجماع النصيحة لكتب الله في أمرين:

الأول: العمل بها، وله أربعة حقوق، الائتمار بأوامرها، والانزجار عن زواجرها، والتأدب بآدابها، والدعوة إليها

(١) الأنعام ٩٠.

(٢) أخرجه مسلم ٧٤/١ رقم ٥٥.

(٣) انظر لسان العرب ٦١٥/٢.

وتعليمها الناس.

الثاني: تعظيمها، وله حقوق: منها: الخشوع ومنه الخضوع والبكاء عند تلاوتها أو سماعها، قال الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾﴾[1] فهذا هو هدي الأنبياء والمجتبين إذا تليت آيات الله خروا سجداً وبكياً تعظيماً لها، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗاۤ ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ۩﴾[2] فهذا شأن أهل العلم، امتدحهم الله بتعظيمهم كتابه بالخضوع والخشوع عند تلاوته.

---

(١) مريم ٥٨.

(٢) الإسراء ١٠٧-١٠٩.

وامتدح الله النجاشي ومن معه من المؤمنين[١] بقوله: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾[٢].

وقد أمر الله بالإنصات عند سماع القرآن فقال: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[٣] والإنصات يوجب أن تُقبِل بجميعك على الشيء مستيقظ القلب مجتمع الجوارح، وهذا من تعظيم كتب الله.

ومن تعظيم كتب الله: الطهارة الحسية والمعنوية لها، أما الحسية فبالوضوء عند مسها، كما قال سبحانه: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾[٤] وهذا أصل في لمس كتب الله التي

---

(١) انظر زاد المسير ٢/٤٠٨.

(٢) المائدة ٨٣.

(٣) الأعراف ٢٠٤.

(٤) الواقعة ٧٩.

جمع فيها كلامه ووحيه المترل، وأما المعنوية فبتطهير القلب عن الانشغال بغيرها عند تلاوتها، ولذلك أمر الله بالإنصات عند سماعها كما تقدم.

ومن تعظيم كتب الله، توقيرها واحترامها وعدم امتهانها، ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو[١] خشية أن يمتهن من أحد منهم. وقد روى كبار التابعين أنه كان يقال: عظموا المصاحف[٢]. وكانوا يكرهون كتابة المصاحف في الشيء الصغير، ورووا عن الصحابة رضي الله عنهم نهيهم عن ذلك[٣]، ورووا أنه كان يكره أن يقال: مصيحف[٤]، وكره جماعة منهم أن يقال للسورة من القرآن: قصيرة أو خفيفة[٥]، لأن الله يقول: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي

(١) متفق عليه، البخاري مع الفتح ١٣٣/٦ رقم ٢٩٩٠، ومسلم ١٤٩٠/٣ رقم ١٨٦٩.

(٢) انظر المصاحف لابن أبي داود ١٣٥.

(٣) المصاحف ١٣٦.

(٤) المصاحف ١٥٢.

(٥) المصاحف ١٥٣.

﴿عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[١]، حتى قد كرهوا تطييب المصحف بالمسك ونحوه[٢] كي لا يتلطخ بأثره، وكرهوا أن يُكتب في المصحف غير القرآن من كتابة الفواتح والعدد والتحزيب ونحوٍ ذلك لئلا يختلط القرآن بغيره وليكون المصحف مجردا لكلام الله فحسب[٣].

ونهوا أن يوضع كتاب الله في غير موضعه حتى نهى بعضهم عن وضعه على الأرض، ورأى عمر بن عبد العزيز ابناً له يكتب من القرآن على حائط فضربه[٤]. كل هذا ونحوه تعظيماً لكتاب الله.

وفي الجملة، فتعظيم كتب الله من النصيحة لها وهو من حقوقها على العبد، وفي الكتاب والسنة مثلان لتعظيم المخلوقات لكلام الله توجب على العبد التفكر فيهما، ففي

---

(١) المزمل ٥.

(٢) المصاحف ١٥٢.

(٣) المصاحف ١٣٧.

(٤) المصاحف ١٨٩.

الكتاب قال الله: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١).

وفي السنة عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وعنده فرس مربوط بشنطنين، فتغشته سحابة فجعلت تدنو، وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال: "تلك السكينة تنزلت للقرآن"(٢).

صفة الإيمان بالكتب الواجب على العبد:

القدر الذي تحصل به الركنية الواجب على كل فرد من آحاد المؤمنين هو أن يؤمن إيماناً مجملاً بأن الله أنزل كتباً على أنبيائه فيها مراده من عباده هي وحيه الذي تكلم به

---

(١) الحشر ٢١.

(٢) متفق عليه، البخاري مع الفتح ٣٦١٤/٦، ومسلم ٥٤٧/١ رقم ٧٩٥.

وأوحاه إلى رسله، وأنه يجب الإيمان بما ورد في شأنها في كتاب الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم: "القرآن" على الوجه الذي ورد به، إجمالاً فيما أجمله، وتفصيلاً فيما فصله، وأن يؤمن بأن الإيمان بـــ"القرآن" خاصة يجب على التفصيل باعتقاد عقائده والتزام شرعته عملاً بأوامره وانزجاراً عن نواهيه وتأدباً بآدابه.

هذا القدر المجمل هو الذي يحصل به أصل الواجب وتستوفى به الركنية، ثم المؤمنون يتفاوتون بعد ذلك في استكمال الواجب وتحقيق تمامه، فكل من علم شيئاً من تفاصيل ذلك وجب عليه الإيمان به وزاد به إيماناً على الذي لم يعلمه، فمفردات الإيمان المفصل هي مورد التفاوت.

والإيمان المجمل بالقرآن من غير إيمان بتفاصيله والتزام بها لا يتحقق به الإيمان الواجب، وإلا كان من آمن بالقرآن من أهل الكتاب مع دعواه اختصاصه بالعرب دونهم مؤمناً، وليس كذلك. أمر الله نبيه أن يقول: ﴿ **وَأُوحِىَ إِلَيَّ هَٰذَا**

ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[٢].

وكذا الذين يسمون أنفسهم بالقرآنيين ثم تركوا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته، وزعموا أنهم إنما يعملون بما ورد في القرآن وحسب، ليس هذا منهم إيماناً، لأن من الإيمان المفصل بالقرآن الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بغير القرآن في سنته القولية والفعلية، وفي القرآن: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ﴾[٣]، وفيه: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[٤] وفيه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ

---

(١) الأنعام ١٩.

(٢) الفرقان ١.

(٣) الحشر ٧.

(٤) النساء ٦٥.

فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[1].

ونستعرض فيما يلي بعض صور الإيمان المجمل:

الإيمان بكتب الله جملة من غير تفريق بينها:

ورد الأمر بالإيمان بكتب الله أمراً بالإيمان بها جميعاً من غير تفريق، وهذه من وجوه الإجمال في الإيمان بالكتب، قال الله عز وجل: ﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ﴾[2] أي من غير تفريق بينها في الإيمان لأن هذا ورد بعد الأمر بعدم التفرق في الدين الذي شرع في رسالات الرسل، وبعد ذكر تفرق أهل الكتاب فيه بإيمان ببعض الكتب دون البعض، المذكورين في الآيتين قبل هذه الآية.

وقال سبحانه: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ

---

(١) النساء ٦٥.

(٢) الشورى ١٥.

وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾[1] ولا معنى للتفريق بين الرسل إلا التفريق بين ما أوتوه من رسالات الله وكتبه، كما قال سبحانه: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[2].

والتفريق بين كتب الله في الإيمان كفر ينقض أصل الإيمان.

والتفريق بين كتب الله في الإيمان له في الجملة صورتان:

الأولى: الإيمان ببعض الكتب والكفر ببعضها:

ومثال هذه الصورة ما حكاه الله عن اليهود من إيمانهم بالتوراة وكفرهم بالقرآن، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

(١) البقرة ٢٨٥.

(٢) البقرة ١٣٦.

ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ (١) فسجل الله عليهم فعل الكفر بهذا التفريق في الإيمان، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾(٢) فسجل سبحانه على المفرقين بين الرسل ورسالاتهم وكتبهم فعل الكفر فقال "يكفرون" ووصفه فقال "أولئك هم الكافرون" وحقق تسجيل وصفهم بالكفر بقوله: "حقاً" ثم توعدهم سبحانه.

وإنما كان الكفر ببعض كتب الله مع الإيمان ببعضها كفراً بها جميعاً وناقضاً لأصل الإيمان لثلاثة أوجه:

١- أن جميع كتب الله مصدرها واحد، فهي مترلة

---

(١) البقرة ٩١.

(٢) النساء ١٥٠-١٥١.

من عند الله فلا وجه للتفريق بينها، فمن كفر بواحد منها كان هذا كفراً بالجنس الذي اجتمعت عليه، وعاد على جميع الكتب بالكفر. وهذا الوجه ينبه عليه قول الله: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾[1] وقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾[2].

٢- أن جميع كتب الله اشتملت على أصول اعتقادية وعملية واحدة، وهي جميعها على ملة واحدة، فمن كفر بواحد منها يكون هذا كفراً بالملة التي اشتمل عليها ذات الكتاب الذي ادعى الإيمان به. وكتب الله يصدق بعضها بعضاً فالكفر بواحد منها كفر بالباقي، وينبه إلى هذا الوجه قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ

(١) الشورى ١٥.

(٢) البقرة ١٣٦.

مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمۡۗ ﴾[1] فقوله: "وهو الحق مصدقاً لما معهم" تعليل لكفرهم.

٣- أن كل كتاب من كتب الله أمر بالإيمان بجميع كتب الله. فإن الإيمان بالكتب من أصول الإيمان التي جاءت بها الملة على لسان كل رسول، فمن كفر بواحد من كتب الله يكون قد كفر بما أمر به في الكتاب الذي ادعى الإيمان به.

هذا ويمكن أن يقال أن التفريق بين كتب الله في الإيمان يرد من جهتين: **من جهة التتريل**، وهذا ككفر اليهود بالقرآن مع إيمانهم بالتوراة فإنهم أنكروا أن يكون القرآن مترلاً أصلاً من عند الله، فهو كفر بأصل الإنزال. **ومن جهة التأويل**، وهذا ككفر النصارى الذين أقروا بالقرآن كتاباً مترلاً ولكنهم زعموا أنه خاص بالعرب ولا يجب عليهم اتباعه وهم مكتفون بكتابهم، فهؤلاء أثبتوا أصل الإنزال وكفروا من جهة التأويل.

---

(١) البقرة ٩١.

الثانية: الإيمان ببعض الكتاب الواحد والكفر ببعضه:

ومثال هذه الصورة فعل اليهود الذي ذكره الله في قوله:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) والشاهد في الآية قوله: "أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض" أي تؤمنون ببعض كتابكم وتكفرون ببعضه، وبين وجه هذا الكفر من فعلهم وهو المذكور في الآية، وهو أنه كان حلفاء الخزرج من اليهود يقاتلون مع الخزرج حلفاء الأوس من

---

(١) البقرة ٨٤-٨٥.

اليهود أنفسهم في الحرب الدائرة بين الخزرج والأوس، فيقاتل اليهودي اليهودي، فيقتل اليهود بعضهم بعضاً ويخرجون بعضهم بعضاً من ديارهم، وهذا محرم عليهم في كتابهم، ثم إذا أسر يهودي من الفريقين كليهما جمعوا له الفدية يفدونه جميعاً لأن هذا واجب عليهم فعملوا بهذا وتركوا ذاك(١).

ومن صور الإيمان بالكتاب الواحد والكفر ببعضه، ما عليه الذين يسمون أنفسهم بـــ"القرآنيين" الذين يقولون: القرآن يكفينا، ويتركون العمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهؤلاء قد كفروا ببعض القرآن مع دعواهم الإيمان به وهو كفرهم بقول الله في القرآن: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(٢) وقد ورد الخبر عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال « ﷺ » : «لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه،

---

(١) انظر زاد المسير ١/١١٠-١١١.

(٢) الحشر ٧.

فيقول : لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»[١]

ويلحق بهؤلاء كل من رد خبر الآحاد من المبتدعة.

وهذه الجملة من الإيمان تنبني عليها فوائد منها:

تقرير المذهب الراجح في أن شرع من قبلنا الوارد في شرعنا من غير نسخ شرع لنا، لأن الإيمان واجب بكل ما جاء في كتب الأنبياء السابقين وشرائعهم.

اتفاق كتب الله في الملة والأصول وتنوع شرائعها:

هذه جملة من جمل الإيمان بكتب الله، أنها جميعها جاءت بملة وأصول اعتقادية وأصول عملية وأصول آداب واحدة ولكن تنوعت الشرائع والمناهج، قال الله عز وجل: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً

---

(١) أخرجه الترمذي ٤/٢٠٠ رقم ٤٦٠٥، وأبو داود ٥/٣٦ رقم ٢٦٦٣ وابن ماجه ١/٦ رقم ١٣، وأحمد ٣٩/٣٠٢ رقم ٢٣٨٧٦ .

وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾(١) فإذا ضُمَّ قوله سبحانه في الآية "مصدقاً لما بين يديه" إلى قوله: "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً" تقرر ما ذكرناه من اتفاق كتب الله في الأصول وتنوع شرائع ومناهج تطبيق تلك الأصول.

وقال سبحانه: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ (٢) فأخبر أنه شرع لأمة محمد صلى الله عليه وسلم الوصايا التي وصى بها سائر الأنبياء لا جميع ما أوحاه الله لكل واحد منهم وشرع جميع ما أوحاه لمحمد صلى الله عليه وسلم، وهذا معنى الفرق بين لفظي "وصى" المقرونة بأسماء الأنبياء المذكورين و"أوحينا" المقرونة باسم النبي صلى الله عليه وسلم.

والوصايا هي الملة والأصول العملية وأصول الآداب

---

(١) المائدة ٤٨.

(٢) الشورى ١٣.

ويدل لذلك كتاب الله، ففي الملة قال الله: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ إَبِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ [1] وقال: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ [2] وفي الأصول العملية قال عيسى عليه السلام: ﴿ وَأَوۡصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيًّا ﴾ [3] فهذه في الصلاة والزكاة من جنس الأصول العملية ، وفي أصول الآداب قال الله: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ ﴾ [4] فهذه في بر الوالدين من جنس الآداب،

---

(١) البقرة ١٣٠-١٣٢.

(٢) النساء ١٣١.

(٣) مريم ٣١.

(٤) الأحقاف ١٥.

وقد سردت آيات سورة الأنعام[١] التي في أولها: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ عشر وصايا اشتملت على أصول اعتقادية وأصول عملية وأصول آداب، وقد ختمت كل آية من تلك الآيات بقوله: ﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ ﴾ وقد قال صلى الله عليه وسلم: "الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد"[٢] والمقصود بالأمهات في الحديث: الشرائع والمناهج[٣]، فضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل لاتفاق شرائع الأنبياء في الملة وأصولها وتنوع مناهجها بالإخوة لأب، أبوهم واحد وأمهاتهم شتى.

والشرائع التي وقع فيها التنوع هي الأحكام التي يدخلها النسخ، فالصلاة مثلاً أصل عملي اتفقت عليه رسالات الرسل لا يدخله النسخ، ولكن تنوعت شرائعها في صفاتها

---

(١) انظر الآيات ١٥١-١٥٣.

(٢) أخرجه البخاري، الصحيح مع الفتح ٦/٤٧٨ رقم ٣٤٤٣، ومسلم ١٨٣٧ رقم ٢٣٦٥.

(٣) انظر فتح الباري ٦/٤٨٩.

وأعدادها وأذكارها وشروطها ونحو ذلك، وهكذا في باقي الأصول وشرائعها.

والحكمة في تنوع الشرائع مع اتفاق الملة هي: "توحيد الخلق على توحيد الخالق" وذلك بأن تؤخذ كل أمة بالتشريعات التي توافق طبائع أهلها وزمانهم ليكون من كل أمة أتم حال يؤدى بها توحيد الله عز وجل، ولذلك تتفاوت الشرائع بين تشديد وتيسير بحسب أحوال الناس وأزمنتهم، فلما كان اليهود مثلاً أهل مكر وبهتان وتحايل ومخادعة وجرأة على ارتكاب المحظورات وقتل الأنبياء وتحريف كلم الله عن مواضعه ناسب أن تكون الشريعة المفروضة عليهم شديدة حتى وصفها الله بالإصر والأغلال في قوله: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[(١)] أي بنسخها بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

ولما كان القرآن آخر كتب الله لا كتاب بعده لأن النبي صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء لا نبي بعده،

---

(١) الأعراف ١٥٧.

وكانت شريعته عامة في الخلق إلى قيام الساعة فقد ضبط الله شرعته لتوافق أحوال الخلق كلهم على اختلاف أحواهم وأزمنتهم إلى قيام الساعة، فيستغنوا بها في كل حال وزمن عن الحاجة لكتاب آخر.

كتب الله منزلة منه على رسله:

هذه الجملة من الإيمان أصل عظيم في الإيمان بكتب الله فهي لُبُّه وحقيقته، لا يثبت الإيمان بالكتب إلا بها، وأصل ورود باطل كفر أو بدعة في هذا الباب فمن جهة القدح في هذه الجملة من الإيمان، ولذلك قرر الله هذا الأصل في كتابه أعظم تقرير فكثر ذكره في كتاب الله، وورد على وجوه متعددة من الذكر، وأساليب متنوعة من البيان،

١- فتارة تفتتح السورة من القرآن بتقرير هذا الأصل، ثم يكون هذا الافتتاح حيناً:

- بالإخبار العام، كما في افتتاح سورة آل عمران: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ وأول سورة الزمر: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾، وبه افتتحت

سور السجدة ويس وغافر وفصلت والجاثية والأحقاف، أن الكتاب تتريله سبحانه.

- وحيناً يكون افتتاح السورة بثناء الله على نفسه لتتريله الكتاب والامتنان على خلقه بذلك، ففي مفتتح سورة الكهف: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وفي مفتتح سورة الفرقان: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾.

٢- وتارة يكون هذا التقرير في أثناء السورة ، وهو أكثر وروده، وهو على وجوه:

- فأحياناً يكون بالإخبار العام، كقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾(٢).

---

(١) الحديد ٢٥.

(٢) البقرة ٢١٣.

- وأحياناً يقرره سبحانه في سياق الأمر بالإيمان، كقوله: ﴿ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖ ﴾[١] وقوله: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ ..... ﴾الآية[٢].
- وأحياناً يقرره في سياق ذكر صفات المؤمنين التي استحقوا لها اسم الإيمان وحكمه وأن منها إيمانهم بإنزال الكتب، كقوله: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ ﴾[٣] وقوله في صفة المتقين: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ﴾[٤] وقوله: ﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾[٥].

---

(١) الشورى ١٥.

(٢) البقرة ١٣٦.

(٣) البقرة ٢٨٥.

(٤) البقرة ٤.

(٥) آل عمران ١٩٩.

وفي هذه الوجوه والآيات وغيرها كثير في كتاب الله يعبِّر سبحانه عن إيتائه الكتب بالفعل نزل وتصرفاته، فتارة بصيغة "نزَّلنا" كما في قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾ (١)، وقوله: ﴿ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ﴾ (٢) وتارة بصيغة "نُنزِّل" كما في قوله: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣)، وتارة بصيغة "يُنزِّل" كما في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ﴾ (٤) وتارة بصيغة "نُزِّل" كقوله: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٥)، وتارة بصيغة "تُنزَّل" كقوله: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ

---

(١) الحجر ٩.

(٢) الإسراء ١٠٦.

(٣) الإسراء ٨٢.

(٤) الحديد ٩.

(٥) النحل ٤٤.

عَلَيْهِمْ سُورَةٌ ﴾(١)، وتارة بصيغة "يُنزِّل" كقوله: ﴿ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ ﴾(٢) وتارة بصيغة "أَنْزَل" كقوله: ﴿ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾(٣) وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾(٤) وقوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾(٥)، وقوله: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾(٦)، وتارة بصيغة "أُنْزِل" كقوله: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ .... ﴾ الآية(٧) وقوله: ﴿ يَٰٓأَهْلَ

(١) التوبة ٦٤.

(٢) المائدة ١٠١.

(٣) البقرة ٢١٣.

(٤) العنكبوت ٤٧.

(٥) يوسف ٢.

(٦) النساء ١٦٦.

(٧) آل عمران ٨٤.

ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ ﴾(١)، وتارة بصيغة "تتريل" كقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(٢) وتارة بصيغة "مترَّل" في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ ﴾(٣).

وفي جميع مواضع ذكر تتريل الكتب من الله أضيف الإنزال إليه سبحانه على وجهين:

١- إسناد الفعل إليه فهو فاعله.

٢- إسناد ابتداء الفعل إليه فهو منه.

والتعبير بالإنزال وإسناده إلى الله يدل على أصلين في الحق يقمعان نوعين من الباطل:

الأول: أن كتب الله ليست من كلام الرسل أنشؤوه من أنفسهم، وكذا لم يتلقوه من أحد ممن حولهم من

---

(١) آل عمران ٦٥.

(٢) الشعراء ١٩٢.

(٣) الأنعام ١١٤.

البشر. فإن النزول والإنزال لا يكون إلا من علو إلى سفل، لا يُعقل إلا كذلك، فإذا كانت كتب الله مترلة عليهم فهي أولاً: من جهة منفكة ليست من كلام أنفسهم، ثم هي من ذات في العلو ليست ممن حولهم في الأرض. وهذا يبطل قول الكفار﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾[1] وقولهم: ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾[2] الذي حكاه الله عنهم.

الثاني: أن كتب الله هي كلامه الذي هو صفته منه بدأ، فهي غير مخلوقة ولكنها كلام الله، وهذا هو معنى إسناد الفعل إلى الله بأنه فاعله، فالفعل صفة الفاعل، وهو معنى إسناد الفعل إلى الله بأنه منه، لأنه ابتدأ منه وخرج منه سبحانه، فكُتب الله كلامه منه بدأت، تكلم بها أولاً سبحانه ثم تناقلت كلامه سبحانه الألسن وحفظته الصدور والسطور وهو حيث تصرّف كلام الله لأنه منه بدأ، فهو

---

(١) المدثر ٢٥.

(٢) النحل ١٠٣.

غير مخلوق، فإن قيل: كيف يكون الكتاب كلامه الذي هو صفته وقد كتب باليد المخلوقة على الورق المخلوق بالحبر المخلوق، وحفظته الصدور المخلوقة ورددته الألسن المخلوقة، فالجواب: يكون كلام الله لأنه منه بدأ، فالكلام ينسب إلى من تكلم به أولاً حيث تصرف، فإنك إذا تلوت حديثاً من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوت نفسك ولسان نفسك لا يقول أحد : إن هذا كلامك، وإن كان بأداء نفسك، بل يقول: هذا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن صوتك المسموع منه هذا الكلام ليس هو صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا لسانك وحركات فمك بالحروف والكلم هي لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وحركات فمه الشريف، ولكنه كلام رسول الله لأنه هو الذي تكلم به أولاً وخرج منه صلى الله عليه وسلم في ابتداء الأمر، هذا وكلامه صلى الله عليه وسلم مخلوق ككلامنا، فكذلك كلام الله إذا تلوته أو حفظته أو كتبته هو كلام الله وليس هو كلام التالي أوالكاتب، وكلامه

الذي نشأ منه سبحانه هو صفته غير مخلوق، فلا يكون نشأ مخلوقاً ولا من مخلوق.

ويُجلِّي الأمر بيان أن الكلام ينسب نسبتين: نسبة إلى المتكلم به أولاً، فيكون كلامه الذي هو صفته. ونسبة إلى المبلغ، فيكون تبليغه، فالأولى: نسبة إنشاء، والثانية: نسبة تبليغ.

فالقرآن مترل من الله على رسوله لا من مخلوق من المخلوقات، وهو كلام الله منه بدأ، فهو المتكلم به أولا لم يبتدئ من غيره، وهذا يبطل أنواعاً من البدع :

- يبطل قول من يجعله فيضاً فاض على نفس النبي من العقل الفعال أو غيره، كما تقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصابئة .

- ويبطل قول من يقول إن كلامه مخلوق خلقه في جسم من الأجسام المخلوقة، كما هو قول الجهمية القائلين بخلق القرآن من المعتزلة والنجارية والضرارية وغيرهم .

- ويبطل قول من يقول إن كلام الله معنى قائم بذات الله ليس بحرف ولا بصوت وهو شئ واحد

لايكون فيه خبر ولاإنشاء ولاأمر ولانهي ولاشئ من أنواع الكلام التي تتميز فيه، فهو كلام نفسي ثم خلق كتبه توراة وإنجيل وقرآن لتدل على ذلك المعنى الذاتي القائم بنفسه، فكتب الله ليست كلامه بل مخلوقات تعبر عن كلامه، فكتبه عبارة عن كلامه لا أنه تكلم بها وخرج منه بها كلام، ثم هو إما ألهمها جبريل فعبر عنها بما أوحاه للأنبياء، أو يكون جبريل أخذه من اللوح فهو حكاية لكلام الله، وهذا القول قول الكلابية والأشعرية .

وقول الكلابية والأشعرية يوافق قول المعتزلة وأضرابهم في ادعائهم خلق القرآن والتوراة وغيرهما من كتب الله، وإنما يفارقه في صورة الادعاء من وجهين :

١- أن المعتزلة أصرح عبارة إذ قالوا : إن المخلوق كلام الله، وهؤلاء موهوا فقالوا : ليس المخلوق كلام الله وإنما هو عبارة عن كلام الله أوحكاية لكلام الله، ويسمى كلام الله مجازاً .

٢- أن المعتزلة يقولون : لايقوم بذات الله كلام أصلاً، وهؤلاء يقولون : يقوم بذاته كلام هو المعنى القديم القائم

بذاته الذي هو الكلام النفسي .

وقد احتج من يقول بالعبارة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [(١)]، قالوا أضاف القرآن إلى الرسول، وحملوه على إضافة الإنشاء والإحداث، والجواب عنه : أن إضافته إلى الرسول إضافة تبليغ لا إضافة إنشاء ويدل عليه وجوه[(٢)]:

الأول : أن الله ذكر هذا في القرآن في موضعين، والرسول في أحد الموضعين محمد صلى الله عليه وسلم وفي الآخر جبريل عليه السلام، قال تعالى في الحاقة ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقال في التكوير :﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ فالرسول هنا جبريل عليه السلام، فلو كانت الإضافة إلى الرسول

---

(١) الحاقة ٤٠، والتكوير ١٩.

(٢) أنظر الفتاوى ١٢/١٣٥-١٣٧.

إضافة إنشاء لكان الخبران متناقضين، فإنه لو كان أحدهما هو الذي أحدثه امتنع أن يكون الآخر هو الذي أحدثه، فدل هذا على أن الإضافة إضافة تبليغ، فكل منهما مبلغ عن الله .

الثاني : أن الله قال : ﴿ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ ، ولم يقل : لقول نبي، في الحاقة، ولا : لقول ملك، في التكوير، ووصف (رسول) لهما دال على أن كلا منهما مبلغ للقول لا أنه أنشأه من جهة نفسه، فأضاف الله القول إلى صفة الرسول خاصة لأنه أداه لا أنه ابتدأه .

الثالث : أن الله قد جمع بين قوله ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ وقوله : ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ في موضع واحد في آيات الحاقة، كما جمع بينهما في قوله : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [١] والضمائر في جميعها عائدة إلى القرآن، فلو كان الرسول هو أحدثه لم يكن تنزيلا من رب العالمين بل تنزيلا من الرسول، ولذلك قال سبحانه : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن

(١) الشعراء ١٩٢-١٩٣

رَّبِّكَ ﴾[1] فقال : ﴿ مِن رَّبِّكَ ﴾ ، وهذا بيان ابتدائه.

الرابع : أن الله كفر من جعل القرآن قول البشر في قوله: ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾[2]، هذا مع قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ في الحاقة، فجعله قول الرسول وهو بشر مع تكفيره من يقول إنه قول البشر، فعلم أن المراد أن الرسول بلغه وأداه و لم يحدثه.

الخامس : قرن الله إضافة القول إلى الرسول في قوله : ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ في الموضعين بما يبين معناها، فقال في الحاقة : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ ﴾ فتوعد على تقول الرسول عليه مع إضافته القول إلى الرسول، وقال في التكوير : ﴿ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ فوصف الرسول بالأمانة، أي في تبليغ القول.

---

(١) النحل١٠٢.

(٢) المدثر٢٣-٢٦.

نوعا اختلاف الخلق في تنزيل الكتب:

ذكرنا فيما تقدم أن الله عظم في كتابه تقرير كون كتبه منزلة منه. وأكده بالترديد في الذكر والتنويع في العبارة بما يجلي شأنه ويمنع الشبهة فيه، وهذا من فضله على عباده في بيان ما يختلفون فيه وفصل الحكم فيه، فإن الخلق قد اختلفوا في تنزيل كتابه سبحانه اختلافاً انقسم به الحق والباطل، والسنة والبدعة، وتضاد المؤمن والكافر، والسني والبدعي.

ويمكن تصنيف اختلاف الخلق في تنزيل الكتاب إلى نوعين[١] :

الأول: اختلاف في جنس التنزيل، وهو بين المؤمنين والكافرين، فالمؤمنون يؤمنون بأصل التنزيل ويثبتون كتاب الله منزلاً منه سبحانه على رسوله فهو كلام الله والرسول مبلِّغ، أما الكفار فأنكروا أصل التنزيل وأبطلوه وزعموا أن الكتاب قول الرسول أو تعلمه من بشر.

الثاني: اختلاف في صفة التنزيل، وهو واقع بين أهل

---

(١) انظر الفتاوى ١٢/١٣ – ١٤ و ١١٩ – ١٢١ .

السنة وبين أهل البدع والهوى من فلاسفة ومتكلمة، فأهل السنة يقولون: كتاب الله كلامه، خرج منه بحرف وصوت، وسمعه منه جبريل، وبلغه جبريل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وسمعه الرسول ﷺ من جبريل عليه السلام، وبلغه الرسول لأمته سمعه منه أصحابه وتلقته الأمة منهم. أما أهل البدع من أهل الكلام فقد اتفقوا على كلمة واحدة هي أن القرآن مخلوق، إما خلقه الله في جبريل أو في محمد أو في جسم آخر غيرهما، وأما الفلاسفة فجعلوه فيضاً فاض على نفس النبي صلى الله عليه وسلم من العقل الفعّال أو غيره. وكلا القولين كفر وضلال.

عدد كتب الله:

الكلام في عدد كتب الله لا أصل له صحيح، فهو غير معلوم، وقد اشتهر أن عدة كتب الله مائة وأربع كتب، روى البيهقي في سننه أن الربيع بن صبيح روى عن الحسن البصري قال: أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب[١]. ومستند من

---

(١) السنن الكبرى ٩/١٨٨.

قال ذلك حديث أبي ذر الطويل الذي فيه: قلت يا رسول الله كم كتاباً أنزل الله؟ قال: "مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل على شيث خمسين صحيفة، وأنزل على أخنوخ (وفي رواية: إدريس) ثلاثون صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والقرآن"[١]، وهو حديث انفرد به إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه عن جده[٢]، وقد قال الذهبي: "إبراهيم بن هشام أحد المتروكين الذين مشّاهم ابن حبان فلم يصب"[٣] وقد قال الهيثمي في هذا الحديث: "فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، قال أبو حاتم وغيره:

(١) أخرجه ابن حبان، الإحسان ١/٢٨٧-٢٨٩. وعزاه في الدر المنثور ٦/٣٤١ إلى عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر.
(٢) انظر ميزان الاعتدال ١/٧٢.
(٣) ميزان الاعتدال ٤/٣٧٨.

كذاب"[١] فليس في الحديث حجة مع هذا السند.

وعن وهب بن منبه قال: "قرأت ثلاثين كتاباً نزلت على ثلاثين نبياً"[٢]، وقال: "لقد قرأت اثنين وتسعين كتاباً كلها أنزلت من السماء، اثنان وسبعون منها في الكنائس وفي أيدي الناس، وعشرون لا يعلمها إلا قليل"[٣].

ولا يعرف من كتب الله معرفة ثابتة صحيحة إلا أربع كتب ذكرها الله في القرآن الكريم، والقرآن هو خامسها، وهي: توراة موسى، وإنجيل عيسى، وزبور داود، وصحف إبراهيم -عليهم السلام.

---

(١) موارد الظمآن ص٥٣.

(٢) الطبقات الكبرى ٥/٥٤٣.

(٣) الطبقات ٥/٥٤٣ والحلية ٤/٢٤.

وفيما يلي تعريف بكل منها:

التوراة:

هذا اسم الكتاب المترل من الله على موسى عليه السلام، وهو اسم عبراني، أصله "طُورا" بمعنى "الهدى"[(١)]، وبمعنى "الشريعة" أو "الناموس"[(٢)]. فهو على هذا لفظ أعجمي لا يدخله اشتقاق عربي ولا يوزن على أوزان الصرف العربية.

وذهب بعض أهل العلم إلى أنه اسم عربي، واختلفوا في اشتقاقه ووزنه الصرفي، ففي اشتقاقه قولان:

١- أنه مشتق من: وَرِيَ الزند، يَرِي: إذا ظهر منه النار[(٣)]، فكأن التوراة ضياء من الضلال.

---

(١) انظر التحرير والتنوير ٣/١٤٨.

(٢) تفسير المنار ٣/١٥٥.

(٣) انظر البحر المحيط ٢/٣٧١ وإملاء ما من به الرحمن ١/٧٢.

٢- أنه مشتق من: وَرَّى في كلامه، إذا عرَّض[١]، ويكون ذلك لأن في التوراة رموزاً كثيرة وتلويحات جليلة.

وفي وزنه ثلاثة أقوال:

١- أنه على زنة "فَوْعَلَة"، فأصلها "وَوْرَيَة" فأبدلت الواو الأولى تاء، كما فعلوه في "تُقاة" و"تُجاه" في "وُجاه" و"وُقاة" من الوجه والوقاية[٢]، وأبدلت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها. قاله البصريون[٣].

٢- أنه على زنة "تَفْعَلة" بفتح العين، وقلبت الياء ألفاً والتاء زائدة، من: وريت بك زنادي، قاله الكوفيون[٤].

---

(١) انظر البحر المحيط ٢/٣٧١.

(٢) استدرك العكبري في إملاء ما من به الرحمن ١/٧٢ بأن التاء في "تقاة" أبدلت عن الواو لانضمامها ضماً لازماً مثل "تجاة" وليس كذلك هنا، ولكنها أبدلت في التوراة عن الواو كما قالوا: "تَوْلَج" وأصلها "وَوْلج"، والتولج كناس الظبي أو الوحش الذي يلج فيه.

(٣) انظر البحر المحيط ٢/٣٧١، والمفردات ٧٦، والكشف عن وجوه القراءات السبع ١/١٨٣، وإملاء ما من به الرحمن ١/٧٢.

(٤) انظر المراجع السابقة.

٣- أنه على زنة "تَفْعِلة" بكسر العين، فأبدلت الكسرة فتحة وقلبت ألفاً، وفعَل ذلك تخفيفاً، كما قالوا في "توصية": "توصاة"، قاله الفراء[١]. واعترضه البصريون بأن هذا البناء قليل، وبأنه يلزم منه زيادة التاء أولاً، وهي لا تزاد كذلك إلا في مواضع ليس هذا منها[٢].

وإنما قيل إن اسم "التوراة" عربي لأمرين:

الأول: دخول "أل" التعريف عليه، وهي لا تدخل على الأسماء الأعجمية.

وقد أجيب عنه بأنه لا مانع من دخولها على المعرب، كما ألزموا بعض الأسماء الأعجمية الألف واللام علامة على التعريف، كما ورد في "الاسكندرية" فهو لا يستعمل بدونها مع الاتفاق على أعجميته[٣].

---

(١) البحر المحيط ٣٧١/٢، وإملاء ما من به الرحمن ٧٢/١.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ١ / ٧٢ .

(٣) انظر التحرير والتنوير ١٤٨/٣، وقال ابن عاشور: "هذا جواب غير صحيح لأن الاسكندرية وزن عربي، إذ هو نسب إلى اسكندر،=

الثاني: أنها قُرِئت في المتواتر بإمالة الألف، وعلة إمالتها: الدلالة على الأصل، لتقريبها إلى أصلها وهو الياء[١]، فدل هذا على أنها مشتقة متصرف فيها تصرف الألفاظ العربية.

وذكر ابن تيمية رحمه الله[٢] أن لفظ "التوراة" قد يراد به الكتاب المعين: "توراة موسى" وقد يراد به جنس الكتب التي يقر بها أهل الكتاب، فيدخل في ذلك: الزبور ونبوة أشعيا وسائر النبوات غير الإنجيل، وهي قد حرفت وبدلت.

وهذا الذي ذكره ابن تيمية رحمه الله هو في إطلاق أهل الكتاب، أما القرآن والسنة فليس مراداً بلفظ "التوراة" فيهما إلا كتاب موسى عليه السلام[٣].

=فالوجه في الجواب أنه إنما ألزم التعريف لأنه معرب عن اسم بمعنى الوصف، اسم علم، فلما عربوه ألزموه اللام لذلك" لأن عدم التعريف تدخل على الأوصاف والنكرات لتصير أعلاماً بالغلبة مثل: العقبة.

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/١٨٣.

(٢) في الجواب الصحيح ٣/٢٨١، وانظر تفسير المنار ٣/١٥٥.

(٣) انظر تفسير المنار ٣/١٥٦.

وقد تكرر ذكر "التوراة" في القرآن كثيراً إما باسمه أو بالحديث عنه دون ذكر اسمه، وقد ورد اسمه بلفظه ثمان عشرة مرة في القرآن. وقد سماه الله: "فرقاناً" في قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[(١)] وكتب الله كلها فرقان لأنها مشتملة على التفرقة بين الحق والباطل.

وتسمى فقرات التوراة آيات، كما في حديث ابن عمر، أن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما تجدون في شأن الرجم؟" وفي سياقه: فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم[(٢)].

وهذا كشأن فقرات كتب الله جميعاً تسمى "آيات"، قال الله بعد ذكر الأنبياء من ذرية آدم وإبراهيم: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ

(١) الأنبياء ٤٨.

(٢) متفق عليه، البخاري مع الفتح ٦٣١/٦ رقم ٣٦٣٥، مسلم ١٣٢٦/٣ رقم ١٦٩٩.

عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ﴾ (١).

صفة نزول التوراة:

كان الله قد كتب التوراة بيده سبحانه قبل خلق آدم بأربعين عاماً كما في حديث تحاج آدم وموسى عليهما السلام فقد ورد في سياقه: "فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجياً، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاماً"(٢)، ثم أعطاه الله لموسى، وقد أُثِر عن طائفة من التابعين –كما يقول ابن تيمية– أن الله ناول موسى التوراة من يده إلى يده، وقال ابن تيمية: "وهو كذلك عند أهل الكتاب لكن لا أعلم غير هذا اللفظ مأثوراً عن النبي صلى الله عليه وسلم"(٣).

---

(١) مريم ٥٨.

(٢) مسلم ٤/٢٠٤٣، ح

(٣) الفتاوى ١٢/٥٣٣.

وقت نزول التوراة:

جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث واثلة بن الأسقع أنه قال: "أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين ليلة خلت من رمضان"[(١)].

هل بين التوراة والألواح والصحف فرق:

ذكر الله في القرآن "الألواح التي آتاها موسى عليه السلام في سورة الأعراف، وذكر سبحانه "الصحف" التي آتاها موسى عليه السلام في سورتي النجم والأعلى.

وفي الروايات عن أهل العلم قول بأن موسى عليه السلام أعطي الألواح قبل التوراة[(٢)] وعلى هذا فالألواح

---

(١) أخرجه أحمد ١٩١/٢٨ رقم ١٦٩٨٤، حسنه الألباني في الصحيحة ١٠٤/٤ رقم ١٥٧٥.

(٢) مروي عن مجاهد.

غير التوراة.

وفيها قول بأن التوراة كتبت في الألواح فهي هي، وليست الألواح شيئاً غير التوراة لأن التوراة فيها[١].

وهذا القول الثاني هو الذي عليه الجمهور الغالب، ويستأنس لترجيحه بقوله سبحانه: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[٢] وذلك للمناسبة بين قوله "كتبنا" وبين ما ثبت في السنة من أن الله كتب التوراة بيده، وكذا لمناسبة عموم قوله في وصف الألواح أن فيها من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء لأن تكون التوراة داخلة في هذا العموم، أو أن تكون هي محتوى الألواح، ففي كلام أهل العلم وصف التوراة بأن فيها شيء كثير وطول حتى صعب على أهلها حفظها وأنه لم يكن يحفظها إلا عدة قليلة جداً من أنبياء

---

(١) مروي عن علي بن أبي طالب وابن عباس وعكرمة وعطاء، انظر الدر المنثور ٣/١١٤ و ١٢٠-١٢١.

(٢) الأعراف ١٤٥.

بني إسرائيل، اثنان أو ثلاثة.

وأما الصحف فعلى حديث أبي ذر المذكور قريباً تكون الصحف غير التوراة، لأن فيه: "وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف" وقد تقدم أن الحديث لا يحتج به.

وظاهر قوله سبحانه في وصف الألواح أن فيها من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء، يرجح أن تكون الصحائف من الألواح ليست شيئاً آخر، إذ ماذا عساها أن تحتوي إن كانت غير الألواح مع اشتمال الألواح لكل شيء؟! والله أعلم.

وقوله سبحانه "كل شيء" في وصف المكتوب في الألواح يشمل كل ما يحتاج إليه لاستقامة الدين والدنيا، فيشمل الاعتقاد والأمر والنهي والحدود والأحكام والآداب والحكم والعبر ونحو ذلك[1].

هذا، وإذا كانت التوراة في الألواح، ولا فرق بينهما، فثمة إشكالٌ يرد على زمن نزول التوراة على موسى عليه

---

(١) انظر زاد المسير ٣/٢٥٨-٢٥٩.

السلام الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم -كما تقدم- أنه كان لست مضت من رمضان.

فيكون هو زمن نزول الألواح، والألواح أنزلت بعد تمام الأربعين ليلة التي واعد الله موسى بعد إنجائه وقومه من فرعون وقومه، فإن الله قال: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ إلى أن قال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ الآية، قال: ﴿ .... فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ ..... ﴾ الآية [(١)] فكان إيتاء موسى الألواح في تمام هذه الأربعين في المواعدة.

وهذه النجاة كانت في العاشر من محرم كما في حديث صيام يوم عاشوراء الثابت في الصحيح، فإن النبي صلى الله

---

(١) الأعراف ١٤٠-١٤٥.

عليه وسلم لما قدم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء قال: "ما هذا؟" قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى، فقال صلى الله عليه وسلم: "فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه"(١)، وفي رواية: "هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وغرق فرعون وقومه"(٢) فالنبي صلى الله عليه وسلم أقر اليهود على اعتبار العاشر من محرم هو يوم نجاة موسى عليه السلام ولم يكذبهم بهم بل خصه بالصيام موافقة لشرعة موسى عليه السلام.

ووجه الاستشكال: أن رمضان بعيد عن المحرم، فبينهما أكثر من أربعين ليلة، فكيف يكون زمن نزول الألواح غير زمن نزول التوراة وهما واحد؟! والجواب باحتمال أحد وجهين:

الأول: عدم منع بُعد المدة على هذا النحو، لأنه ليس

(١) أخرجه البخاري، الصحيح مع الفتح ٤/٤٤، رقم ٢٠٠٤.

(٢) هي عند مسلم ٢/٧٩٦ رقم ١١٣٠.

في سياق القصة في الآيات ما يجزم له بوقوع المواعدة عقب النجاة مباشرة قريباً منها وما فيها إلا وقوع المواعدة بعد النجاة مطلقاً.

الثاني: أن يكون يوم العاشر من محرم وافق عندما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اليوم الذي يصومه اليهود موافقة وليس هو هو، لأن اليهود كانوا يحسبون لصيامهم بحساب الشمس. قال ابن القيم: "صوم أهل الكتاب إنما هو بحساب سير الشمس"(١) ونقل نحوه ابن حجر عن كتاب الآثار القديمة للبيروني(٢). ولكن يمنع هذا الاحتمال أنه لو صح لكان صيام عاشوراء في كثير من السنين غير موافق ليوم نجاة موسى عليه السلام فلا يكون صيامه محققاً لمقصود الشارع صلى الله عليه وسلم في قوله: "نحن أحق بموسى".

ويشكل كذلك ما روي عن أئمة التفسير كمجاهد

(١) زاد المعاد ٢/٧٠.

(٢) فتح الباري ٤/٢٤٨.

ومسروق وابن جريج ومروي عن ابن عباس[١] أن الثلاثين ليلة من المواعدة هي ثلاثين ذي القعدة، والعشر التي تم بها الميقات هي عشر ذي الحجة، فيكون إنزال التوراة على هذا القول وقع يوم النحر. والجواب: أن هذا مما ينقل عن أهل الكتاب للعلم به لا للاحتجاج فلا يعارض به ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل يُردّ بما في الحديث.

ولكن إذا كانت التوراة غير الألواح، فلا وجه لهذه الإشكالات. والله أعلم.

محتويات التوراة:

أجمل الله محتويات التوراة في قوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ ﴾[٢] ففيها الهدى والنور والحكم في الذين هادوا، فيها الملة والعقائد وأدلة الحق وأحكام التشريع.

---

(١) انظر الدر المنثور ٣/١١٤-١١٥.

(٢) المائدة ٤٤.

وقد تقدم أن كتب الله مشتملة على الأصول الاعتقادية والعملية والسلوكية.

وقد ذكر الله في كتابه بعض مفردات محتويات التوراة:

فمن مفردات الاعتقاد فيها:

- الإخبار عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصفاته ونسخ شريعتهم بشريعته، قال الله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ ﴾(١).
- والإخبار عن صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ووصفهم وضرب المثل لهم، قال الله: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي

(١) الأعراف ١٥٧.

وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾(١).

- والوعد بالجنة لمن يقاتل ويقتل في سبيل الله، قال الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾(٢).

- الإخبار بفلاح من تزكى بطاعة ربه وطلب الآخرة، قال الله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾(٣).

---

(١) الفتح ٢٩.

(٢) التوبة ١١١.

(٣) الأعلى ١٤-١٩.

- ومفردات الاعتقاد الواردة في قوله سبحانه: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾[1].

ومن مفردات التشريعات فيها:

- القصاص وأحكامه، قال الله: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ﴾[2] فهذه في الحدود، وقال في الأجر والوزر: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ

---

(١) النجم ٣٦-٥٤.

(٢) المائدة ٤٥.

﴿أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾[١].

- ومن أحكام الأطعمة، قال الله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ﴾[٢].

الزبور:

هو كتاب داود عليه السلام، وورد ذكره في القرآن مرتين: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾[٣].

وهو بفتح الزاي، وقرأه حمزة بضمها[٤]. فالفتح على أنه كتاب واحد سمي به، والضم على أنه جمع زبور، كأنه في التقدير: وآتينا داود كتباً وصحفاً مزبورة، يقال: زبرت الكتاب:

---

(١) المائدة ٣٢.

(٢) الأنعام ١٤٦.

(٣) النساء ١٦٣، والإسراء ٥٥.

(٤) انظر زاد المسير ٢/٣٥٥.

جمعته. والفتح أولى لصحة معناه ولأن عليه الجماعة[١].

زمن نزوله:

تقدم في حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم: "وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان".

محتوياته:

لم يتضمن الزبور تشريعاً وأحكاماً، فقد كان دواد عليه السلام عاملاً بالتوراة يحكم بها في الذين هادوا، فكتابه تابع للتوراة، وإنما تضمن كما قال قتادة والربيع بن أنس وغيرهما أذكاراً وتسابيح وتمجيد وثناء على الله وأدعية، وحكماً ومواعظ[٢]، وقد روى بعض أئمة العلم كوهب بن منبه شيئاً مما ورد فيها[٣]. ولعل الحكمة في ذلك طلب

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات ١/٤٠٣.

(٢) انظر الدر المنثور ٤/١٨٨.

(٣) انظر الدر المنثور ٤/١٨٨-١٨٩.

ترقيق قلوب بني إسرائيل.

وقد ثبت في الصحيح: "لقد خفف على داود القرآن فكان يأمر خيله لتسرج فيقرأ الزبور"[١]. فقيل لهذا الحديث إن الزبور يسمى قرآناً، وليس كذلك، بل القرآن في الحديث اسم للقراء ة لا للمقروء، ووجه ذلك أنه من قرأ الكتاب إذا نطق بالمكتوب فيه أو طالعه، وأصل هذا المعنى من قرأ الشئ إذا أخرجه، وهو أحد أصول معاني قرأ، وسمي النطق بالمكتوب قرآنا لأن فيه استخراج لفظه من فم القارئ، وألحقت المطالعة به لأن المطالع يستخرج صورة اللفظ ومعناه في ذهنه، و (القرآن) من هذا الأصل اسم للقراءة، فيقال : هذا قرآن فلان، أي قراءته، ومنه هذا الحديث.

الإنجيل:

هذا اسم الكتاب المنزل على نبي الله ورسوله عيسى عليه السلام، وقد تكرر ذكره في القرآن أحد عشر مرة.

---

(١) أخرجه البخاري، الصحيح مع الفتح ٤٥٣/٦ رقم ٣٤١٧.

والإنجيل لفظ سرياني مكون من كلمتين معناه: البشرى الحسنة. وقيل: رومي معناه: الخبر الطيب. وقيل يوناني معناه: اللفظ الصحيح، أو البشارة، أو التعليم الجديد[١].

وقيل: عبري[٢].

وقيل هو عربي وفي اشتقاقه ثلاثة أقوال[٣] :

١- أنه مشتق من النجْل، وهو خروج الشيء من أصله وبروزه، ومنه قيل لولد الرجل: نجله، ويقال: نجلت البئر إذا نزّ ماؤها، وسمي الإنجيل به: إما لأنه تستخرج منه العلوم والحكم، أو لأنه مستخرج من اللوح المحفوظ أو من التوراة.

٢- أنه مشتق من النَجَل وهو السعة، ومنه: عين نجلاء أي واسعة الشق، وسمي الإنجيل به لأنه تضمن سعة لم تكن

---

(١) التحرير والتنوير ٣/١٤٩ وتفسير المنار ٣/١٥٨.

(٢) البحر المحيط ٢/٣٧١.

(٣) انظر زاد المسير ١/٣٤٩ وإملاء ما من به الرحمن ١/٧٢، والبحر المحيط ٢/٣٧١.

لبني إسرائيل.

٣- أنه مشتق من التناجل وهو التنازع، سمي به لتنازع الناس فيه.

ولفظ الإنجيل يطلق في كلام الله على الكتاب الذي آتاه الله نبيه عيسى وأنزله عليه، ولكنه "يطلق عند النصارى على أربعة كتب تعرف بالأناجيل الأربعة، وعلى ما يسمونه العهد الجديد وهو هذه الكتب الأربعة مع كتاب أعمال الرسل (أي الحواريين) ورسائل بولس وبطرس ويوحنا ويعقوب ورؤيا يوحنا. أي على المجموع، فلا يطلق على شيء مما عدا الكتب الأربعة بالانفراد. والأناجيل الأربعة عبارة عن كتب وجيزة في سيرة المسيح عليه السلام وشيء من تاريخه وتعليمه، ولهذا سميت أناجيل، وليس لهذه الكتب سند متصل عند أهلها وهم مختلفون في تاريخ كتابتها على أقوال كثيرة"(١).

---

(١) تفسير المنار ١٥٨/٣.

وقت نزوله:

تقدم في حديث واثلة بن الأسقع قوله صلى الله عليه وسلم: "وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان".

محتوياته:

الإنجيل تابع للتوارة، ولكنه تضمن نسخ شيء منها كما في الآية: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ (١)، وغالب الإنجيل حكم وأمثال ومواعظ، وقد وردت فيه البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم وصفته والخبر بنسخ شريعته لشريعة بني إسرائيل، وفيه ذكر الصحابة وضرب المثل لهم، والوعد للمجاهدين، كما تقد ذكره في الكلام على التوراة.

وهذه الكتب الثلاثة معروفة في الناس، موجود في الكنائس نسخها المتداولة في اليهود والنصارى، ولكنها محرفة كما سيأتي بيانه.

---

(١) آل عمران ٥٠.

صحف إبراهيم عليه السلام: ذكر الله صحف إبراهيم في موضعين من كتابه، في النجم: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾، وفي الأعلى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾.

وقد أنزلت على إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان كما في حديث واثلة المتقدم.

وقد دل كتاب الله على أن صحف إبراهيم عليه السلام لم تكن معروفة عند العرب قبل الإسلام مع انتسابهم لإبراهيم عليه السلام ودعواهم أنهم على ملته، قال سبحانه: ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ﴾[1].

فهذه الآيات في مخاطبة المشركين وبيان إقامة الحجة

---

(١) الأنعام ١٥٥-١٥٧.

عليهم بالقرآن وأنه أنزل إليهم حتى لا يعتذروا عن شركهم بالله بأن الكتاب إنما أنزل على الطائفتين اليهود والنصارى، وأنهم لم يتزل عليهم كتاب. فهذا يدل على أنهم ما كانوا يعرفون إلا كتابي اليهود والنصارى، وهذا يدل على أن صحف إبراهيم لم تكن معهودة معروفة لديهم، فلعلها لم تكن موجودة، فتكون قد بادت، إلا أن عدم معرفة العرب لها لا يمنع معرفة غيرهم، ووجودها عند غيرهم، على أنه لا ريب في دخول التحريف فيها لو كانت موجودة معروفة عند بعض الخلق. وقد قال النووي: "فأما المتمسكون بكتب سائر الأنبياء الأولين كصحف شيث وإدريس وإبراهيم وزبور داود صلوات الله عليه وسلامه عليهم فلا تحل مناكحتهم على الصحيح"[(١)] قاله في أصناف الكفرة الذين لا تحل مناكحتهم، وكأنه كان يُعهد في عصره من يتمسك بهذه الكتب ومنها صحف إبراهيم، فكأنها كانت موجودة ولكن بأيدي

---

(١) روضة الطالبين ١٣٥/٧.

كفرة مع تمسكهم بها، فهذا شاهد على تحريفها لو كانت موجودة، وقد حرفت التوراة والإنجيل والعهد بهما أقرب من العهد بصحف إبراهيم. وقد ذكر ابن النديم عن رجل من موالي هارون الرشيد جمع كتاباً قال: إنه جمعه من كتاب الصابئة المنتسبون إلى إبراهيم عليه السلام وحملوا عنه الصحف[1].

(١) الفهرست ٣٢.

تحريف التوراة والإنجيل:

لقد حرف أهل الكتاب كتاب الله الذي استحفظهم عليه، ولم تبق التوراة والإنجيل على هيئتها التي نزلت بها على النبيين الكريمين، وهذا التحريف أثبته الله في كتابه، وقد كان اعتداء أهل الكتاب على كتابهم على درجات مذكورة في القرآن:

- فهم قد نسوا حظاً من كتابهم، قال الله في بني إسرائيل: ﴿ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ ﴾[1] وقال: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا ﴾[2] وهذا النسيان شامل لنسيان العمل بالترك ونسيان العلم بأن نسوه وضاع عنهم[3].

(١) المائدة ١٣.

(٢) المائدة ١٤.

(٣) انظر تفسير السعدي للآية.

- ثم ما لم ينسوه فقد كتموه، قال الله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾(١) وقال سبحانه فيهم: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٢).
- ثم ما لم يكتموه حرفوه عن مواضعه، قال الله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾(٣)
- وهذا التحريف وقع منهم في التلاوة باللسان كما قال الله: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا

---

(١) الأنعام ٩١.

(٢) البقرة ١٤٦.

(٣) المائدة ١٣.

بِأَلْسِنَتِهِمْ ﴾(١) وقال: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٢)، ووقع التحريف في الكتابة أيضاً، قال سبحانه: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾(٣).

وتحريف أهل الكتاب كتابهم وقع منهم في ألفاظه وفي معانيه، ودليل ذلك ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قيل لبني إسرائيل ﴿ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟

---

(١) النساء ٤٦.

(٢) آل عمران ٧٨.

(٣) البقرة ٧٩.

حِطَّةٌ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ ﴾ فبدلوا، فدخلوا على أستاههم وقالوا: حبة في شعرة"(١).

وقد حرف أهل الكتاب كتابهم مع علمٍ وقصد، فهم تعمدوا التحريف، قال الله: ﴿ ۞ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾(٢)، وقال: ﴿وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾(٣) وقال: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ ﴾(٤)، ومع ما نقصوه منه فقد

---

(١) أخرجه البخاري، الصحيح مع الفتح ٣٠٤/٨ حديث رقم ٤٦٤١.

(٢) البقرة ٧٥.

(٣) آل عمران ٧٨.

(٤) البقرة ٧٩.

وقعت منهم زيادة أدخلوها في الكتاب[١].

اختلاف أهل العلم في صورة تحريف أهل الكتاب كتابهم:

لقد أجمع أهل العلم على وقوع التحريف في كتب أهل الكتاب، ولكن اختلفوا في صورة وقوعه على قولين:

الأول: ذهب بعضهم إلى القول بأن التحريف وقع في المعاني والتأويل لا في اللفظ والتنزيل، وهذا قال به طائفة من أئمة الحديث والفقه والكلام كما يقول ابن القيم[٢]. وقد قال به البخاري في صحيحه فقد قال: "يحرفون: يزيلون، وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله عز وجل، ولكنهم يحرفونه: يتأولونه على غير تأويله"[٣] وذكر ابن حجر أنه نسب إلى وهب بن منبه بل ولابن عباس

(١) انظر الفصل ٢/٢-٦٩، والجواب الصحيح ٢/١٨-٢٨، وإغاثة اللهفان ١/٣٤٥ وما بعدها.

(٢) إغاثة اللهفان ٢/٣٥١.

(٣) الصحيح مع الفتح ١٣/٥٢٢.

أيضاً[١]. وقد ذُكر لهذا القول عدد من الحجج[٢]، منها:

- قوله سبحانه: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ﴾[٣] فالله قضى أن لا مبدل لكلماته، وخبر الله لا ينتقض، ولكن يجاب عنه أن الآية هنا في القرآن الموحى لمحمد صلى الله عليه وسلم، وقد تكفل الله بحفظه فلا يقع فيه تبديل قط، أما التوراة والإنجيل فاستحفظ عليها أهلها ولم يتكفل الله بحفظها فبدلوا وإن قيل : العبرة بعموم قوله «لا مبدل لكلمات الله» فيكون الجواب : أن هذا أمر في صورة الخبر، والمراد لا تبدلوا كلمات الله . والله أعلم .

- واحتج له بآية: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ

---

(١) فتح الباري ١٣/٥٢٥.

(٢) انظر إغاثة اللهفان ١/٣٥٣ وما بعدها، والبداية والنهاية ٢/١٤٧-١٤٨، وفتح الباري ١٣/٥٢٣-٥٢٤.

(٣) الكهف ٢٧.

فِيهِ ﴾[١] ولو حرفت ألفاظها ما أمرهم أن يحكموا به ويخبر أنه ما أنزل الله فيه.

- وكذا بآية: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[٢] فلو كانت بدلت ألفاظها ما قال هذا.

- وكذا بآية: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾[٣] فأحال إلى المكتوب فيها فلا تكون ألفاظها حرفت مع هذا، ونظائر هذا.

والجواب عنه بأن هذه الآيات فيما لم تتبدل ألفاظه كنبوة النبي صلى الله عليه وسلم ووجوب متابعته، وكثبوت النسخ في كتابهم ونحوه مما لم يدخله التحريف،

---

(١) المائدة ٤٧.

(٢) آل عمران ٩٣.

(٣) الأعراف ١٥٧.

وهو لا يمنع أن غيره حرف وبدل.

ولهذا القول ذهب بعض الفقهاء إلى القول بعدم جواز لمس الجنب التوارة وإنزال حكم الطهارة للقرآن على التوراة الموجودة(١).

الثاني: ذهب جمهور أهل العلم إلى أن التحريف وقع في الألفاظ والمعاني جميعاً كما ثبتت بهذا الأدلة من كتاب الله التي تقدم ذكر طرف منها.

والموجود في التوراة والإنجيل الآن مما يكذبه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا يكون مما أنزل الله قط(٢).

ولكن هذا التحريف لم يقع فيها جميعها بل بقي فيها مما أنزل الله على هيئته التي أنزلت لم يحرف وهذا كالمذكور في الآيات التي استدل بها للقول الأول. وكما في حديث

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٤٩/٢.

(٢) انظر الفصل لابن حزم ، ٢/٢ وما بعدها . وإغاثة اللهفان ٣٥٤/٢ وما بعدها ففيهما نماذج للتحريف الواقع.

الرجم الذي تقدم وفيه: "فوضع يده على آية الرجم".

وقد نقل بعض المتأخرين قولاً بأنها بدلت وحرفت كلها حتى لم يبق منها شيء مما أنزل الله، وهو مقتضى القول المحكي بجواز الامتهان[١].

هذا، وفي أباطيل الرافضة وأكاذيبهم التي وضعوها على أئمة العلم من آل البيت ؛ ما كذبوا فيه على أبي عبدالله جعفر الصادق رحمه الله وهو منه براء : أن عنده (الجفر الأبيض) وهو وعاء من أدم من جلد ثور مملوء علما، فيه علم الأولين والآخرين، وأن فيه زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم [٢].

وهذا كذب موضوع عُرفت به الرافضة، وليس هو عند غيرها، فهي شنشة نعرفها من أخزم[٣].

---

(١) فتح الباري ٥٢٣/١٣. وانظر فتاوى السبكي ٣٣٩/٢.

(٢) أنظر رواياتهم الموضوعة بذلك في أصول الكافي للكليني ٢٩٤/١ – ٢٩٧ .

(٣) قال أبو المظفر الاسفراييني في (التبصيرفي الدين) ص ٤٢ – ٤٣ في نهاية سرده تفاصيل أباطيل الرافضة : (واعلم أن هذه المقالة التي=

الواجب على المسلم في الإيمان بالتوراة والإنجيل:

الواجب على المسلم الإيمان بالأصول الأولى للكتابين التي أنزلت على النبيين الكريمين على الوجه الذي تقدم ذكره في صفة الإيمان بالكتب، وأن يعتقد أنها لم تبق كما

=رويناها عن الروافض ليست مما يستدل على فسادها، فإن العاقل ببديهة العقل يعلم فسادها وينكر عليها، فلا يمكن أن تحمل منهم هذه المقالات إلا على أنهم قصدوا بها إظهار ماكانوا يضمرونه من الإلحاد والشر بموالاة قوم من أشراف أهل البيت، وإلا فليس لهم دليل يعتمدون عليه ويجعلون خرافات مقالاتهم إليه، حتى إنهم لما رأوا الجاحظ يتوسع في التصانيف ويصنف لكل فريق ؛ قالت له الروافض: صنف لنا كتابا. فقال لهم : لست أدري لكم شبهة حتى أرتبها وأتصرف فيها . فقالوا له : إذا دللتنا على شئ نتمسك به . فقال : لا أرى لكم وجهاً إلا أنكم إذا أردتم أن تقولوا شيئاً مما تزعمونه تقولون إنه قول جعفر بن محمد الصادق، لا أعرف لكم سبباً تستندون إليه غير هذا الكلام . فتمسكوا بحمقهم وغباوتهم بهذه السوءة التي دلهم عليها، وكلما أرادوا أن يختلقوا بدعة أو يخترعوا كذبة نسبوها إلى ذلك السيد الصادق، وهو عنها متره، وعن مقالتهم في الدارين برئ).

أنزلت بل دخلها التحريف والتبديل، فاختلط ما أنزل فيها من الله مع ما أحدث فيها، وعليه فما دل كتابنا على صحته وصدقه مما فيها فهو مما أنزل الله، وما دل كتابنا على بطلانه وكذبه بدليل من كتابنا فالمنهج فيه ما في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: {آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم} الآية"(١).

وهذه الجملة فيها الاحتياط التام لصحة الإيمان، فإن كان ما في كتابهم مما لم يقم دليل في كتابنا على صحته صحيحاً فإن هذه الجملة تقتضي إيماننا به وسلامتنا من تكذيب ما أنزل الله، وإن كان كذباً فإن هذه الجملة تقتضي تكذيبنا له وبراءتنا من الإيمان بكذب لم يترله الله.

طرق العلم بما في كتب أهل الكتاب وأحكامها:

لا طريق للعلم بما في كتب أهل الكتاب مما لم يرد

(١) أخرجه البخاري ١٣/٣٣٣ ح ٧٣٦٢.

ذكره عنها في كتابنا وعلى لسان نبينا صلى الله عليه وسلم إلا واحد من ثلاث طرق:

الأول: أن يخبرونا هم به، يبتدؤوننا بذلك، لا بطلب منا، فهذا هو الذي ورد فيه حديث أبي هريرة المذكور وتمامه:

قال أبو هريرة: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسروها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: {آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم}". فلم يمنع صلى الله عليه وسلم هذه الطريق وعلمنا ما نقوله إذا أخبرونا.

الثاني: أن نبتدئ نحن بسؤالهم فيخبرونا جواباً لنا، وهذا محرم أصله، فلا يجوز سؤال أهل الكتاب عن شيء، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عنه، ففي حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، فإنكم إما أن تصدقوا بباطل، أو تكذبوا بحق، والذي

نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني" وهذا ورد في سياق القصة المشهورة أن عمر رضي الله عنه نسخ كتاباً من التوراة بالعربية جاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم(١).

وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث، تقرءونه محضاً لم يُشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن

---

(١) هذا حديث كثرت طرقه وهي كما يقول ابن حجر في الفتح ٥٢٥/١٣: "وهي إن لم يكن فيها ما يحتج به لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلاً"، انظر الحديث في: المسند ٦٤٨/٢٢ رقم ١٤٦٣١ و٣٤٩/٢٣ رقم ١٥١٥٦، ومصنف ابن أبي شيبة ٤٧/٩ رقم ٦٤٧٢، ومصنف عبد الرزاق ١١٣/٦ رقم ١٠١٦٤، وشعب الإيمان ٢٠٠/١ رقم ١٧٧. وقد علقه البخاري في الصحيح فقال في كتاب الاعتصام: "باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء".

مسألتهم؟، لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم"[١] وهذا تشديد في النهي والإنكار.

وورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً: "لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا"[٢].

فهذا هو الأصل في هذه الطريق ، التحريم ، ولكن إذا قامت ضرورة شرعية تدعو إلى ابتدائهم بالسؤال فإن الضرورة تقدر بقدرها، ويجوز عندها ابتداؤهم بالسؤال على القدر الذي يحصل به قضاء الحاجة الشرعية، ومن هذا الباب ورد قوله سبحانه: ﴿ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ فإن الله بره في أول الآية بقوله : ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾[٣] فالسؤال متعلق

(١) أخرجه البخاري، الصحيح مع الفتح ٣٣٣/١٣ رقم ٧٣٦٣.

(٢) أخرجه عبد الرزاق ١١٢/٦ رقم ١٠١٦٢ وابن أبي شيبة ٤٨/٩ رقم ٦٤٧٥. وحسنه ابن حجر في الفتح ٣٣٤/١٣.

(٣) يونس ٩٤.

بصحة الرسالة، وهذه موجودة في التوراة مما أنزل فيها و لم يدخله تحريف[١]، وغرض السؤال رفع الحرج من صدر النبي صلى الله عليه وسلم كما قال سبحانه: ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ ﴾[٢]، هذا مع أن بعض أهل العلم حمل قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ على أن المراد من آمن منهم[٣] فلا يكون سؤالاً لأهل الكتاب بل لمؤمنين كانوا أهل كتاب قبل إيمانهم، ثم إنه قد روى عن جماعة من أئمة العلم والهدى كابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يسأل[٤]، وإنما هذا لإقرار ارتفاع الشك وإقرار الورود

---

(١) انظر فتح الباري ١٣/٣٣٤، وتفسير السعدي للآية.

(٢) الأعراف ٢.

(٣) انظر تفسير ابن أبي حاتم ٦/١٩٨٦ رقم ١٠٥٨٤ و١٠٥٨٥.

(٤) انظر المرجع السابق رقم ١٠٥٨٣ وتفسير ابن جرير ٧/١١٥-١١٦ والدر المنثور ٣/٣١٧.

في كتب أهل الكتاب، فهو كقوله: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[1] والأنبياء لا يكون منهم الشرك ولكن هذا لإقرار جنس إحباط العمل بالشرك.

ومن باب ابتداء أهل الكتاب بسؤالهم عما في كتابهم مع قيام المقتضى الشرعي قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الرجم المتقدم: "ما تجدون في ذلك عندكم في التوراة".

الثالث: قراءة كتبهم والنظر فيها: نقل السبكي عن جماعة من الشافعية في مسألة هل يجوز النظر في التوراة والإنجيل، أنه: لا يحل إمساكها، بل إن كانت على جدار ونحوه غسلت[2]. ونقل ابن مفلح عن الإمام أحمد وعدد من الحنابلة إنكار ذلك حتى قال أحمد في هذا السؤال:

(١) الزمر ٦٥.

(٢) فتاوى السبكي ٣٣٩/٢، الفروع ١٠٦/٢-١٠٧.

هذه مسألة مسلم؟! وغضب رحمه الله[١].

وقد حكى ابن حجر عن الزركشي دعوى الإجماع على أن ذلك محرم، والاستدلال له بحديث قصة عمر رضي الله عنه لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم بيده نسخة من التوراة فغضب، الذي تقدم ذكره. وتعقبه ابن حجر بما نصه: "والذي يظهر أن كراهية ذلك للتتريه لا للتحريم، والأولى في هذه المسالة التفرقة بين من لم يتمكن ويصر من الراسخين في الإيمان فلا يجوز له النظر في شيء من ذلك بخلاف الراسخ فيجوز له ولاسيما عند الاحتياج إلى الرد على المخالف، ويدل على ذلك نقل الأئمة قديماً وحديثاً من التوراة وإلزامهم اليهود بالتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم بما يستخرجونه من كتابهم، ولولا اعتقادهم جواز النظر فيه لما فعلوه وتواردوا عليه، وأما استدلاله للتحريم بما ورد من الغضب ودعواه أنه لو لم يكن معصية ما غضب منه، فهو معترض بأنه قد يغضب من فعل

(١) الفروع ٢ / ١٠٦ – ١٠٧

المكروه، ومن فعل ما هو خلاف الأولى إذا صدر ممن لا يليق منه ذلك، كغضبه من تطويل معاذ صلاة الصبح بالقراءة، وقد يغضب ممن يقع منه تقصير في فهم الأمر الواضح مثل الذي سأل عن لقطة الإبل، وقد تقدم في "كتاب العلم": الغضب في الموعظة، ومضى في "كتاب الأدب": ما يجوز من الغضب"[1] .

وحاصل الأمر أن دعوى الإجماع على التحريم محجوجة بعمل الأئمة.

ثم يلاحظ في هذه المسألة شرطان:

الأول: أن يكون النظر لمصلحة شرعية تقتضيه. فهذا شرط في النظر.

الثاني: أن يكون الناظر راسخاً في العلم في مأمن أن يلتبس عليه باطل هذه الكتب، وهذا شرط في الناظر.

التحديث عن بني إسرائيل:

إذا حصّل المسلم من كتب بني إسرائيل شيئاً مما فيها

---

(١) فتح الباري ١٣/٥٢٥-٥٢٦.

بأحد الطرق الثلاثة المذكورة آنفاً فهل يحدِّث به؟!

والجواب في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"[١]، ففي الحديث الإذن في التحديث عن بني إسرائيل، ورفع الحرج في ذلك، وقد ذكر ابن حجر أقوالاً في معنى "الحرج" في الحديث[٢].

ومن المستقر المعلوم أنه لا يجوز التحديث عنهم بما قام الدليل على كذبه، كما قال الشافعي: "من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجيز التحديث بالكذب"[٣] ويدل له الأدلة العامة في النهي عن الكذب، وإنما يجوز ذكر كذبهم لداعٍ شرعي كبيان ما هم عليه من فساد ونحوه. ثم ما قام الدليل في كتابنا على صحته مما في كتابهم فلا حاجة للتحديث به عنهم، لاستغنائنا بكتابنا، إلا إن دعت ضرورة شرعية لروايته عنهم، كإقامة الحجة عليهم كما في

(١) أخرجه البخاري، الصحيح مع الفتح ٤٩٦/٦ ح٣٤٦١.

(٢) انظر فتح الباري ٤٩٨/٦.

(٣) نقله ابن حجر في الفتح ٤٩٩/٦.

قوله: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا ﴾[1].

فلم يبق إلا ما لم يقم دليل في كتابنا على كذبه أو على صدقه، فهذا هو الذي يظهر أنه موضع الإذن بالتحديث به عنهم، وهو ما كان حكمه أن نقول فيه: "آمنا بما أنزل إلينا وما أنزل إليكم" كما في حديث أبي هريرة المتقدم.

وعلى هذا فإن التحديث عنهم إنما يكون لمجرد العلم أو للاعتبار ولا يكون للاحتجاج والاستدلال، ولذا كان غالب ما يرويه أهل العلم عن بني إسرائيل إنما هو من قبيل تفسير مبهم في كتابنا، أو قصص فيها عظات وحكم، ونحوهذا.

هل للمجوس كتاب؟ وماكتابهم إن كانوا أهل كتاب؟ :

اختلف أهل العلم في المجوس، هل هم أهل كتاب ؟[2]،

---

(١) آل عمران ٩٣.

(٢) أنظر : شرح مشكل الآثار للطحاوي ٥/٢٥٩-٢٦٩، والتمهيد لابن عبدالبر١١٤-١٢٦، والفتاوى ٣٢/١٨٧-١٩٠، وفتح الباري ٦/٢٥٩-٢٦٢.

ومورد اختلافهم النظر في علة حكم النبي صلى الله عليه وسلم في مجوس البحرين و هجر، فقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه فرض عليهم الجزية وأخذها منهم [١]،وفعله بعده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، وهذه سنة أهل الكتاب جعلها الله فيهم وقد قال سبحانه : ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ [٢] ومنطوق الآية دال على مشروعية الجزية على أهل الكتاب، ومفهومها أن غيرهم لا يشاركهم فيها، وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم في المجوس : (سنوا بهم سنة أهل الكتاب)[٣]، ولهم في هذا ثلاثة أقوال :

---

(١) أنظر صحيح البخاري، ح ٣١٥٧ الصحيح مع الفتح ٢٥٧/٦.

(٢) التوبة ٢٩.

(٣) أخرجه بسند منقطع مالك في الموطأ ٢٧٨/١، وانظر التمهيد لابن عبدالبر ١١٤/٢-١١٦.

الأول : أنهم أهل كتاب، ولكن كتابهم رُفع فليس هو بأيديهم، وهو مروي عن علي رضي الله عنه[١]، وعن حذيفة رضي الله عنه، وسعيد بن المسيب وقتادة وأبو ثور، وهو قول الشافعي، وعقد البيهقي باباً قال : (باب : المجوس أهل كتاب والجزية تؤخذ منهم)[٢]، وقد روي في المرفوع عنه صلى الله عليه وسلم من حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه لفظ: (إنما المجوس طائفة من أهل الكتاب فاحملوهم على ما تحملون عليه أهل الكتاب)[٣]، وحجة هذا القول الآية مع الحديث ؛ فالجزية لا تقبل من غير أهل الكتاب وقد أخذت من المجوس فهم أهل كتاب، والمروي عن علي رضي الله عنه أنه قال : (كان المجوس أهل كتاب يقرءونه وعلم يدرسونه،فشرب أميرهم الخمر

---

(١) في رواية ذكرها ابن حجر في الفتح٦/٢٦١- ٢٦٢ عن عبد بن حميد في تفسيره وقال ابن حجر: (بإسناد صحيح) .

(٢) في السنن الكبرى ٩/١٨٨.

(٣) نقله صاحب التنقيح عن ابن أبي عاصم وقال :(في إسناده من يجهل حاله).

فوقع على أخته، فلما أصبح دعا أهل الطمع فأعطاهم، ثم قال لهم : قد علمتم أن آدم أنكح بنيه بناته، فأطاعوه، وقتل من خالفه، فأسري على ما في قلوبهم وعلى كتابهم فلم يبق منه شئ)[١].

الثاني :أن المجوس ليسوا أهل كتاب، جزم به مالك[٢]، والزهري وعطاء[٣]، واحتج له ابن عبدالبر بأن قوله: (سنوا بهم سنة أهل الكتاب) فيه الدليل على أنهم ليسوا أهل كتاب، ولكن أُلحقوا بهم في الجزية خاصة لاغير، وقد اجتمع علماء المسلمين على عدم حل نسائهم وذبائحهم كما قد حلت من أهل الكتاب، فهم ليسوا أهل كتاب

(١) أخرجه الشافعي في مسنده – ترتيب المسند ١٣١/٢- وعبدالرزاق ٧٠/٦ قال ابن حجر : (وغيرهما بإسناد حسن) الفتح ٢٦١/٦، ونقل ابن حجر نحوه عن تفسير عبد بن حميد وذكر أن إسناده صحيح، وقد قال ابن تيمية في حديث علي هذا : (هذا الحديث قد ضعفه أحمد وغيره) الفتاوى ١٨٩/٣٢.

(٢) أنظر فتح الباري ٢٦١/٦.

(٣) أنظر مصنف عبدالرزاق٦٩/٦.

وإنما سن بهم في الجزية خاصة سنة أهل الكتاب وليسوا منهم، وبأن من أهل العلم كأبي حنيفة والأوزاعي ومالك والزهري قالوا بأخذ الجزية من سائر الكفار ومن لا دين له ولاتقبل من العرب إلا من كتابي، وروى في سياق احتجاجه أن النبي صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الأوثان على الجزية إلا من كان منهم من العرب، وأن عمر رضي الله عنه أخذها من أهل السواد، وعثمان من البربر، فصار مشركوا العرب هم المخصوصون بعدم قبول الجزية منهم، ثم هي تقبل ممن عداهم مطلقاً ولا خصوصية لأهل الكتاب بها، ويكون أخذها من المجوس دال على ترك مفهوم آية التوبة .

ويكون الأمر كما قال أبوعبيد :(ثبتت الجزية على اليهود والنصارى بالكتاب وعلى المجوس بالسنة)[1].

واحتج له أيضاً بقوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ

---

(١) الأموال ٣٦.

عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴾[١]، فلم يكن عند نزول القرآن أهل كتاب إلا الطائفتين اليهود والنصارى، وأنزل القرآن كراهة أن يقول المشركون ذلك ومنعاً لأن يحتجوا به ودفعاً لأن يقولوه يتعذروا به ، فلو كان ثمت أهل كتاب غيرهما لكان هذا القول كذباً. و أهل الكتاب هم أهل التوراة والإنجيل لا غير فإن الله يقول : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ﴾[٢] ويقول : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[٣].

واعتبر ابن عبدالبر ألاّ داعٍ للإكثار في هذا الأمر.

وقد أُجيبَ عن احتجاج ابن عبدالبر بآية الأنعام (بأن

(١) الأنعام١٥٥-١٥٦.

(٢) آل عمران ٦٥.

(٣) المائدة ٦٨.

المراد مما اطلع عليه القائلون وهم قريش، لأنهم لم يشتهر عندهم من جميع الطوائف من له كتاب إلا اليهود والنصارى، وليس في ذلك نفي بقية الكتب المترلة كالزبور وصحف إبراهيم وغير ذلك)[١].

وزاد ابن تيمية حجة أخرى لكون المجوس ليسوا أهل كتاب فقال : (وأيضاً فإنه قال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾[٢] فذكر الملل الست، وذكر أنه يفصل بينهم يوم القيامة، ولما ذكر الملل التي فيها سعيد في الآخرة قال :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ في موضعين[٣]، فلم يذكر المجوس

---

(١) قاله ابن حجر في الفتح ٦/٢٦٠.

(٢) الحج ١٧.

(٣) البقرة٦٢ و المائدة ٦٩.

والمشركين، فلو كان في هاتين الملتين سعيد في الآخرة كما في الصابئين واليهود والنصارى لذكرهم، فلو كان لهم كتاب لكانوا قبل النسخ والتبديل على هدى ؛ وكانوا يدخلون الجنة إذا عملوا بشريعتهم، كما كان اليهود والنصارى قبل النسخ والتبديل، فلما لم يذكر المجوس في هؤلاء علم أنه ليس لهم كتاب، بل ذكر الصابئين دونهم، مع أن الصابئين ليس لهم كتاب، إلا أن يدخلوا في دين أحد من أهل الكتابين، وهو دليل على أن المجوس أبعد عن أهل الكتاب منهم)[١].

واعتبر ابن تيمية النزاع في كون المجوس ليسوا أهل كتاب شاذاً.

الثالث: أن للمجوس شبهة كتاب، وهذا قول ظهر عند متأخري أهل العلم، قال النووي في ذكره أصناف الكفرة : (من لا كتاب لهم لكن لهم شبهة كتاب، وهم المجوس)[٢]،

(١) الفتاوى ٣٢/١٨٧-١٨٨.

(٢) روضة الطالبين ٧/١٣٥. وانظر المغني لابن قدامة ١٣/٢٠٤=

وهذا لكونهم ليسوا أهل كتاب بأيديهم، لامبدل ولا غير مبدل ولا منسوخ ولا غير منسوخ، وقد كان لهم كتاب ورفع .

وقد تعقب ابن بطال ذلك بقوله : (لو كان لهم كتاب ورفع لرفع حكمه ولما استثنى حل ذبائحهم ونكاح نسائهم)[١]، قال ابن حجر : (الجواب أن الاستثناء وقع تبعاً للأثر الوارد في ذلك، لأن في ذلك شبهة تقتضي حقن الدم، بخلاف النكاح فإنه مما يحتاط له)[٢]، فلما كان الأصل في الأبضاع واللحوم حرمتها حتى تثبت صحة عقد النكاح وصحة ذكاة اللحوم احتيط للحوم المجوس ونسائهم بالحرمة لعدم البينة في حلها وبخاصة أن كتابهم قد رفع فهم لا يتعبدون بشرع إلهي، وأما دماؤهم فحكم الشرع بحقنها بالجزية، وهو موافق للا حتياط في الدماء أن تحقن إذا قامت شبهة تقتضي ذلك، وهم عندهم شبهة كتاب.

=والفتاوى ١٨٩/٣٢.

(١) نقله عنه ابن حجر في الفتح ٢٦٢/٦.

(٢) الفتح ٢٦٢/٦.

ومشتهر عند أهل العلم انتساب المجوس لنبي لهم يؤمنون به يقال له (زرادشت) وأن لهم شرائع يضيفونها إليه[١] قال ابن كثير : (والمجوس يقال إنهم كانوا يؤمنون بنبي يقال له زرادشت، ثم كفروا بشرعه فرفع من بين أظهرهم)[٢]، وذكر ابن حزم أن كتاب المجوس وشريعتهم كان طوال مدة دولتهم حتى أحرقه الاسكندر أيام غلبته، قال : (وهم مقرون بلاخلاف منهم أنه ذهب منه مقدار الثلث، ذكر ذلك بشير الناسك وغيره من علمائهم)[٣]،، وقال : (وأما المجوس فإنهم معترفون مقرون بأن كتابهم الذي فيه دينهم أحرقه الاسكندر إذ قتل دارا بن دارا ، وأنه ذهب منه الثلثان وأكثر، وأنه لم يبق منه إلا أقل من الثلث، وأن الشرائع كانت فيما ذهب، فإذ هذا صفة دينهم فقد بطل القول به جملة، لذهاب جمهوره، وأن الله لايكلف أحدا مالا يتكفل بحفظه حتى يبلغ إليه) قال :

---

(١) أنظر الفصل لابن حزم ٣٤/١ و ١١٣.

(٢) التفسير ٥٧٣/١.

(٣) الفصل ١١٣/١.

(وكتابهم الذي بقي بعدما أحرق الاسكندر ثلاثة وعشرون هربذا) وذكر بعض مافيه من الكذب والأباطيل، واستدل بأحوال كتابهم على القطع بأنه مبدل محرف[١].

فهذا قول بأن كتابهم ذهب بإحراق الاسكندر له، ولكن ما في حديث علي رضي الله عنه من أنه أسري عليه ورفع فلم يبق منه شئ أحق بالقبول، فلايكون لهم كتاب بأيديهم لا صحيح ولا مبدل، وما كان يعرف للمجوس من شئ ما بأيديهم فلا يكون من كتاب إن صح أن لهم كتابا، ولا يقال فيه إنه مبدل محرف، إذ لا أصل له، فيكون وضعا وضعوه .

وقد ذكر الباقلاني ما يدل على مايدل عليه كلام ابن حزم من أنه يُعرف للمجوس شئ بأيديهم ينسبونه إلى كتاب فقد قال :(فإن قيل : فإن المجوس تزعم أن كتاب زرادشت وكتاب ماني معجزان، قيل : الذي يتضمنه كتاب ماني من طرق النيرنجات – [كالسحر وليس به]

---

(١) الفصل ١/١١٥-١١٦.

— وضروب من الشعوذة ليس فيها إعجاز، ويزعمون أن في الكتاب الحكم، وهي حكم منقولة متداولة على الألسن لا تختص بها أمة دون أمة، وإن كان بعضهم أكثر اهتماما بها وتحصيلا لها وجمعا لأبوابها)[١].

القرآن الكريم :

(القرآن) اسم الكتاب المترل على نبي الله ورسوله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم،قال الله يسميه: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾[٢] وقال: ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾[٣] وقال : ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ ﴾[٤]، وقد ورد اسم (القرآن) نحوا من خمسين مرة في كتاب الله.

---

(١) إعجاز القرآن٥٥.

(٢) الأعراف ٢٠٤.

(٣) التوبة ١١١

(٤) يس ٢.

وهو مصدر قرأ يقرأ، وهو لمعان، أحدها : الجمع، من قرأ الشئ إذا جمعه، وكل شئ جمعته فقد قرأته، ومن هذا المعنى تسمية القرآن، لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض[١] .

ويطلق اسم القرآن على المكتوب في المصاحف، كما يطلق على المقروء، ويطلق على بعضه كما يطلق على كله، فهو مشترك لفظي.

وفي لفظ (القرآن) وجهان وردت بهما القراءة في المتواتر، الأول : القرءان، بالهمز والمد، وهو قراءة الجمهور، وهو على الأصل في الكلمة فإنه بالهمز.

والثاني : القرآن، بالمد دون همز، وهو قراءة ابن كثير المكي وصلا ووقفا، وحمزة في الوقف، وعلته : إلقاء حركة الهمزة على الساكن قبلها وحذفها استخفافا [٢]، وذهب إسماعيل بن عبدالله بن قسطنطين _ شيخ

---

(١) أنظر مقاييس اللغة لابن فارس

(٢) أنظر الكشف عن وجوه القراءات السبع

الشافعي ــ إلى أن (القرآن) غير مهموز، ولا يطلق إلا غير مهموز وهي القراءة لاغير، ولم يؤخذ من (قرأت)، قال: ولو أخذ من (قرأت) كان كل ما قرئ قرآنا ــ أي فلم يختص باسمه ــ ولكنه اسم للقرآن، مثل التوراة والإنجيل(١).

وسمى الله القرآن بأسماء، منها: {**الذكر**}، في قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر:٩)، وقوله: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾ (النحل: من الآية٤٤)، وحكى عن المشركين معرفتهم إياه بهذا الاسم فقال: ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ﴾ (الحجر: من الآية٦)، وورد تفسير معنى هذا الاسم في قوله تعالى: ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ (ص:١).

ومنها: {**الفرقان**}، في قوله﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ (الفرقان:١)، وسماه به لاشتماله على مافيه

---

(١) أنظر سير أعلام النبلاء ١٠/١٣.

الفرقان بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، وبين الإيمان والكفر، وبين الحلال والحرام .

وقد جمع بعض أهل العلم أسماء للقرآن، وأنهاها بعضهم إلى نيف وتسعين اسما[1]، ولكن يغلب على أكثرها الوصف لا التسمية.

وجاء في آثار ورود ذكر القرآن في التوراة باسم : (التوراة) و باسم : (الإنجيل)، فعن كعب الأحبار أنه قال: (في التوراة : يا محمد إني منزل عليك توراة حديثة)[2]، وورد مرفوعا وموقوفا أن موسى عليه السلام قال (يارب إني أجد في التوراة أمة أناجيلهم في صدورهم فاجعلهم أمتي، قال : تلك أمة أحمد)[3]، ولكن هذا محمول على مخاطبتهم بما يعرفونه بلسانهم .

---

(١) أنظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/٢٧٣.

(٢) عزاه السيوطي في الإتقان ٢/٣٤٥ إلى ابن الضريس.

(٣) أنظر الخصائص الكبرى للسيوطي ١/ ١١- ١٤، والإتقان ٢/٣٤٥.

صفة نزوله:

صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن القرآن أنزل جملة واحدة ليلة القدر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا، ثم أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم مفرقا مدة نبوته حتى مات صلى الله عليه وسلم على السنين بحسب الوقائع والأحداث[١].

وقد كان نزول القرآن جملة واحدة في شهر رمضان، كما قال الله : ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ (البقرة: من الآية١٨٥) وفي ليلة القدر منه خاصة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِى لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ (القدر:١) ووافقت ليلتها ليلة خمس وعشرين كما تقدم في حديث واثلة بن الأسقع إذ فيه أن القرآن أنزل لأربع وعشرين يوما خلت من رمضان . وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : (أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى

---

(١) أنظر المستدرك ٢/٢٢-٢٢٣، وشعب الإيمان للبيهقي ٣/٣٢٠، وقد صحح ابن حجر أسانيد الحديث في الفتح ٩/٤.

السماء الدنيا) [١].

ونقل عن الشعبي أن ابتداء نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم كان في ليلة القدر ثم نزل منجما في أوقات مختلفة من سائر الأوقات[٢].

وقد باشر إبلاغه للنبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام، قال الله : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴾ (الشعراء:١٩٣-١٩٤)، وكان عليه السلام كما ثبت في الصحيح [٣] يعارض النبي صلى الله عليه وسلم القرآن في كل عام مرة في شهر رمضان، وعارضه في العام الذي مات فيه صلى الله عليه وسلم مرتين .

وكان أكثر إنزاله على النبي صلى الله عليه وسلم قرب وفاته، قال أنس بن مالك رضي الله عنه : (إن الله تعالى

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٢٢٢ وقال : على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، والبيهقي في الشعب ٣/٣٢٠ وفي الدلائل ٧/١٣١، وقال ابن حجر في الفتح ٩/٤ : (إسناده صحيح).

(٢) أنظر الإتقان ١/ ٢٧٥.

(٣) أنظر صحيح البخاري – مع الفتح – ٩/٤٣ ح ٤٩٩٧و٤٩٩٨.

تابع على رسوله الوحي قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كان الوحي ثم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم)[١]، وسبب ورود هذا عن أنس رضي الله عنه ما نقله ابن حجر من تاريخ مصر لابن يونس عن الزهري : (سألت أنس بن مالك : هل فتر الوحي عن النبي قبل أن يموت ؟ قال : أكثر ماكان وأجمه)، قال ابن حجر : السر في ذلك أن الوفود بعد فتح مكة كثروا وكثر سؤالهم عن الأحكام فكثر الترول بسبب ذلك[٢].

وقد كان الوحي في أول البعثة فتر فترة ثم كثر، وفي أثناء الترول بمكة لم يترل من السور الطوال إلا القليل، ثم بعد الهجرة نزلت السور الطوال المشتملة على غالب الأحكام، إلا أنه كان الزمن الأخير من الحياة النبوية أكثر الأزمنة نزولا.

وقد نزل القرآن بلسان العرب : كما قال سبحانه :

(١) أخرجه البخاري، الصحيح مع الفتح ٣/٩.

(٢) الفتح ٨/٩.

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء:١٩٥) وقال : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ (النحل: من الآية١٠٣) وقال: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ (يوسف: من الآية٢)، أي بلسان العرب جميعا على اختلاف لغاتهم .

وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم قوله : (نزل القرآن على سبعة أحرف)(١) و تواتر هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم (٢)،فهو على لغات العرب مبينا لهم بينا عندهم، فهو بلسانهم لا يختص بلغة فيهم بل بلسانهم جميعا على لغاتهم، وماورد في البخاري عن عثمان رضي الله عنه أنه قال حين أمر جماعة من الصحابة بنسخ المصاحف: (إذا اختلفتم أنتم وزيد في عربية من عربية القرآن فاكتبوها

---

(١) أخرجه البخاري، الصحيح مع الفتح ٢٣/٩ ح ٤٩٩١و٤٩٩٢، ومسلم ١/ ٥٦٠-٥٦٣ ح ٨١٨ و ٨٢١.

(٢) أنظر فضائل القرآن لأبي عبيد ١٦٨/٢، وذكر السيوطي في تدريب الراوي ١٨٠/٢ أن رواته من الصحابة بلغوا سبعة وعشرين.

بلسان قريش، فإن القرآن أنزل بلسانهم)[١] حمله أهل العلم على أن المراد ابتداء نزوله، ثم نزل بلغات غيرهم، فرأى رضي الله عنه أن الحرف الذي نزل القرآن به أولا أولى بالحمل عليه، ولأنه لسان المبعوث صلى الله عليه وسلم [٢]، وشاهد هذا إثباته رضي الله عنه في سياق كلامه أن في القرآن عربية غير عربية قريش، وإلا فما محل قوله: (إذا اختلفتم في عربية من عربية القرآن) فجعلها عربية القرآن ؟.

كتابة القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم:

كان القرآن إذا نزل يأمر النبي صلى الله عليه وسلم كتابه الذين اتخذهم لكتابته أن يكتبوه، وكان القرآن يكتب في أول الأمر ولا يكتب غيره، ففي حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا تكتبوا

---

(١) أنظر الصحيح مع الفتح ٩/٨-٩، ح٤٩٨٤.

(٢) أنظر الفتح ٩/٩، وذكر معان أخر حمل قول عثمان رضي الله عنه عليها.

عني شيئا سوى القرآن، فمن كتب عني شيئا سوى القرآن فليمحه)[١]،فكان يكتب في **العسب** – جمع عسيب، وهو جريد النخل يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض –، وفي **اللخاف** – جمع لخفة، وهي الحجارة الرقاق، وقيل هي الخزف، وهو الطين المشوي –، وفي **الأكتاف** – جمع كتف، وهو العظم إذا جف كتبوا فيه –، وفي **الأقتاب** – جمع قَتَب، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه –، وفي **الرقاع** – جمع رقعة، وتكون من جلد أو ورق أو كاغد – . بالإضافة إلى حفظه في صدور الرجال، منهم من جمعه كله في صدره وهم القراء من الصحابة، ومنهم من حفظ الآيات والسور منه، وذكر أن عليا رضي الله عنه كان أول من جمع القرآن أي حفظه في صدره كله، وقيل عمر رضي الله عنه[٢].

وفي أحاديث متفرقة في الصحيحين أن أبي بن كعب

---

(١) أخرجه مسلم ٤/٢٢٩٨-٢٢٩٩ ح ٣٠٠٤ .

(٢) أنظر المصاحف لابن أبي داود ١٠-١١.

ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأباالدرداء وأبازيد أحد عمومة أنس بن مالك وعبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ؛ كل هؤلاء رضي الله عنهم جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]،وورد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم[2].

فكان القرآن مفرقا في ذلك، ومات صلى الله عليه وسلم وهو كذلك،قال زيد بن ثابت رضي الله عنه : (قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع في شئ)[3].

جمع القرآن :

أمر أبوبكر رضي الله عنه بجمع القرآن برأي من عمر

(١) أنظر : صحيح البخاري مع الفتح ٩/٤٧ ح ٥٠٠٣ و ٥٠٠٤، وصحيح مسلم ٤/ ١٩١٣-١٩١٤ رقم ٢٤٦٤ و ٢٤٦٥.

(٢) أنظر المسند ١١/٦٧ و ٤٥٩ رقم ٦٥١٦، ٦٨٧٣.

(٣) ذكره ابن حجر عن فوائد الديرعاقولي، الفتح ٩/١٢.

رضي الله عنه لم يزل يراجع فيه أبا بكر حتى شرح الله صدر أبي بكر له وكان يمتنع أن يفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك حين استحر القتل يوم اليمامة بالقراء فخشوا إن استحر القتل بالقراء في المواطن أن يذهب كثير من القرآن، فكلف أبوبكر زيد بن ثابت أن يتتبع القرآن فيجمعه، فجمعه زيد من مواضعه المكتوبة ومن صدور الرجال، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم(١).

وقد كان زيد يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مع هذا كان لا يكتب آية عند الجمع الذي أمره به أبوبكر إلا بشاهدي عدل، إلا آخر آية من سورة براءة لم يجدها إلا مع أبي خزيمة بن ثابت، فكتبها لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل شهادة بشهادة رجلين(٢) .

---

(١) أنظر صحيح البخاري – مع الفتح – ٩ / ١٠-١١ ح ٤٩٨٦.

(٢) أنظر المرجع السابق، والإتقان ٢/٣٣٧٧-٣٨٧.

ولما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق، قال أبوبكر رضي الله عنه : (التمسوا لها اسما)، فقال بعضهم : (سموه الإنجيل)، فكرهوه، وقال بعضهم : (سموه السفر)،فكرهوه من يهود، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: (رأيت بالحبشة كتابا يدعونه المصحف) فسموه به[١].

وفي إطلاق اسم المصحف تفريق بين الصحف المكتوب فيها وبين القرآن المكتوب الذي هو كلام الله، وفيه حفظ لفظ (القرآن) من أن ينسب لغير المترل تعالى بأن يقال: قرآن ابن مسعود، وقرآن أبي، بدل مصحف ابن مسعود، ومصحف أبي، أو أن يقال : في قرآن فلان خطأ ويراد مصحفه. ولقد استعمل بعض الطاعنين في القرآن من المستشرقين هذا الاستعمال للطعن والتلبيس، فقد عثر "الفونس منجانا " و " آجنس سميث لويس " على أوراق من مصاحف قديمة، فنشراها بعنوان : " أوراق من ثلاثة قرآنات قديمة يمكن أن تكون سابقة للمصحف العثماني مع

---

(١) أنظر الإتقان ٢/٣٤٤.

قائمة بما فيها من اختلافات "[١].

ولما توسعت الدولة الإسلامية بالفتوح في عهد عثمان رضي الله عنه، وانتشرت الصحابة في الأمصار كل بما معه من القرآن وبما تلقاه من قراءاته، وربما كان فيهم من سمع قراءة لم يسمع غيرها فهو يقرأ بها وينكر غيرها من القراءة التي لم يسمعها و لم ترو له، فحدث اختلاف بينهم رضي الله عنهم في القراءة، وهم مع هذا في أمصار حديثة عهد بإسلام، ومنهم تتعلم القرآن،فخشي عثمان رضي الله عنه من اختلاف الناس في القراءة فأمر بجمع الناس على مصحف واحد أمر بجمعه ونسخه في مصاحف بعثها في الأمصار، وأمر بما سواها أن يحرق .

روى البخاري عن أنس : (أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية و أذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين،

---

(١) أنظر مقالة (مشروع الجمع الصوتي الأول للقرآن) لعبدالرحيم شراقي، في مجلة الفيصل – عدد ٢٩٥ــ الصفحات ٤٥-٥٧.

أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك, فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شئ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا . حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بماسواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق)[1].

ثم تواتر النسخ من مصحف عثمان رضي الله عنه على الأزمنة حتى وصل إلينا .

وقد زعم الحاكم أبو عبدالله صاحب المستدرك أن القرآن جمع أولا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه

---

(١) الصحيح مع الفتح ١١/٩ ح ٤٩٨٧.

أخرج حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : (كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن في الرقاع)[١]، ثم قال: (فيه البيان الواضح أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة، فقد جمع بعضه بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جمع بعضه بحضرة أبي بكر الصديق، والجمع الثالث هو ترتيب السورة كان في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان)[٢]، وقال في موضع آخر : (فيه الدليل الواضح أن القرآن إنما جمع في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم)[٣]، ولكن الصحيح ما تقدم نقله من المروي عن زيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قبض ولم يجمع القرآن في شئ، وقد أخرج البيهقي حديث زيد هذا الذي أخرجه الحاكم وفهم منه أن الجمع كان أولا في عهد النبي

(١) استدركه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي – المستدرك ٢٢٩/٢و٦١١، وقد أخرجه أحمد ١٨٥/٥، والترمذي ٦٩١/٥، وهو في الصحيحة ٥/٢ .

(٢) المستدرك ٢٢٩/٢.

(٣) المستدرك ٦١١/٢.

صلى الله عليه وسلم ثم قال : (إنما أراد – والله أعلم – تأليف مانزل من الآيات المتفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم كانت مثبتة في الصدور، مكتوبة في الرقاع واللخف والعسب، فجمعت منها في صحف بإشارة أبي بكر وعمر وغيرهما من المهاجرين والأنصار، ثم نسخ ماجمع في الصحف في مصاحف بإشارة عثمان بن عفان على مارسم المصطفى صلى الله عليه وسلم)[١].

تأليف القرآن :

المقصود بتأليف القرآن جمع آيات السورة الواحدة وترتيبها فيها، وجمع السورمرتبة في المصحف .

فالأول : وهو ترتيب آيات كل سورة في محلها من السورة ، فهذا توقيفي، هو من الله عز وجل، وعلى هذا نقلته الأمة عن نبيها صلى الله عليه وسلم، حتى وصل إلينا على ماهو عليه بين أيدينا الآن، وهذا موضع إجماع عند أهل العلم،لاشبهة فيه[٢]، ومن أدلته : حديث زيد بن ثابت

---

(١) الشعب ١/١٩٧.

(٢) أنظر الإتقان ٢/٣٩٤.

رضي الله عنه - المتقدم - قال : (كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن في الرقاع)، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما عن عثمان رضي الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يترل عليه الآيات فيقول : ضعوها في السورة التي يذكر فيها كذا)[١]، وحديث أبي الدرداء مرفوعا : (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال) وفي لفظ : (من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف)[٢]، والأحاديث الصحيحة المشهورة في خواتيم البقرة،وماثبت من قراءته صلى الله عليه وسلم للسور في الصلوات، وسماعه قراءة أبي موسى رضي الله عنه، والأحاديث في هذا كثيرة جدا.

---

(١) أخرجه أحمد١/٥٧و ٦٩ح٣٩٩، أبوداود ١/ ٣٤٩-٣٥٠ح ٧٨٦و٧٦٧، والترمذي ٥/١٦٦-١٦٧ح٣٠٨٦، وصححه ابن حبان – الإحسان ١/٢٣٠-٢٣١ح٤٣، والحاكم ٢/٢٢١ ووافقه الذهبي، وقد ضعفه الألباني في الضعيفة رقم ٧٨٦.

(٢) أخرجه مسلم ٣/١٢٣٦ح ١٦١٧.

والثاني : وهو ترتيب السور في المصحف، فقيل غير توقيفي بل هو من اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم، ولذلك كان تأليف مصاحف الصحابة رضي الله عنهم متغاير، فمصحف علي – مثلا – على النزول ؛ أوله اقرأ ثم المدثر ثم القلم ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير ... وهكذا إلى آخره، ومصحف ابن مسعود يبتدأ بالفاتحة ثم البقرة ثم النساء ثم آل عمران، والترتيب الذي عليه المصحف الآن هو ترتيب مصحف عثمان رضي الله عنه الذي بعثه في الأمصار (١) .

وقيل : بل ترتيب السور توقيفي وهو الترتيب الذي بلغنا وهو عليه الآن، واستُدل لذلك بحديث أوس بن أبي أوس رضي الله عنه قال : (كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف) فذكر الحديث وفيه : (فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : " طرأ علي حزبي من القرآن فأردت ألا أخرج حتى أقضيه"، قال : فسألنا أصحاب

---

(١) أنظر الإتقان ٤٠٥/٢ ومابعدها، وانظر فتح الباري ٢٥٩/٢و٣٩/٩ و٤٢.

رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قلنا : كيف تحزبون القرآن ؟، قالوا نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من [ق] حتى نختم)[(١)]، قال ابن حجر بعد استشهاده للتوقيف بهذا الحديث : (فهذا يدل على أن ترتيب السور على ماهو في المصحف الآن كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ويحتمل أن الذي كان مرتبا حينئذ حزب المفصل خاصة، بخلاف ما عداه فيحتمل أن يكون كان تقديم وتأخير، كما ثبت من حديث حذيفة أنه صلى الله عليه وسلم قرأ النساء بعد البقرة قبل آل عمران)[(٢)].

بعض خصائص القرآن :

اختص الله كتابه القرآن بما لم يجعله لكتاب من كتبه قبله، ومن أهم هذه الخصائص:

---

(١) أخرجه أحمد ٢٦/ ٨٨-٨٩ح١٦١٦٦، وأبوداود ٢/ ٧ ح ١٣٩٣، وهو في الضعيفة رقم ١٣٩٣.

(٢) الفتح ٩/ ٤٣.

كونه مهيمنا على مابين يديه من الكتاب:

قال الله عز وجل : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ﴾ (المائدة: من الآية٤٨)، ومعنى (مهيمنا): مؤتمنا وشهيدا، والهيمنة : القيام على الشئ والرعاية له . وقد اتفق السلف كلهم على هذا المعنى ؛ أن القرآن هو المؤتمن الشاهد على مابين يديه من الكتاب.

وهيمنة القرآن على الكتب قبله من وجوه منها :

١- أنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر، وقرر نبوة الأنبياء كلهم ورسالات المرسلين، وشهد بصدقها.

٢- زاد ذلك بيانا وتفصيلا، وبين الأدلة والبراهين عليه.

٣- جادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين.

٤- بين عقوبات الله للمكذبين بالكتب والرسل، ونصره لأهل الكتب المتبعين لها.

٥- بين مافعله أهل الكتاب بكتابهم، وماحرف منها

ومابدل وماكتم، وحكم بكذب ما حرف .

٦- قرر الشرائع الكلية التي بعث بها لرسل كلهم .

٧- حكم بإقرار بعض التشريعات ونسخ ما نسخه منها.

فهو في الجملة (شاهد في الخبريات، حاكم في الأمريات).

تكفل الله بحفظه :

قال الله : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (الحجر:٩)، وسبب تكفل الله بحفظه أمران: الأول :أنه تعالى ابتلى عباده في الحفاظ على الكتب السابقة فلم يحفظوها . الثاني: أن القرآن هو معجزة الرسالة المحمدية ودليل صدقها فلابد أن يبقى بنصه كي يبقى إعجازه، وهو كتاب شرعتها ومنهاجها، وهي الدين الذي يريده الله من خلقه إلى قيام الساعة، فلابد أن يبقى بنصه كي يبقى حكمه بمراد الله من خلقه.

ولحفظ القرآن ثلاث جهات :

- **حفظ لفظه**، وهذا بحفظه في النطق وفي التدوين.

أما حفظه في النطق ؛ فمعناه بقاؤه محفوظا في الصدور

متلوا بالألسن على هيئته لاتبديل فيه. وفي تسميته (قرآنا) إشارة إلى ذلك، لأنه مراعا في تسميته بذلك كونه متلوا .

وحفظ الله له في النطق أمر ظاهر بين، فحفاظ القرآن منذ الصدر الأول حتى يومنا هذا لايحصون، وانظر كتب طبقات القراء تنبهك إلى طرف من ذلك، وإلى عناية المسلمين في كل مكان هم فيه على مر العصور حتى يومنا هذا بحلق تحفيظ القرآن والاحتفاء بذلك .

أما حفظه في التدوين ؛ فمعناه بقاؤه محفوظا في السطور مخطوطا بالأقلام على هيئته لاتبديل فيه، وفي تسميته (كتابا) إشارة إلى ذلك، لأنه مراعا في تسميته بذلك كونه مكتوبا، ومعلوم أن الاسم ملازم لمسماه.

وحفظه في التدوين ظاهر، ابتدأ منذ تدوينه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال (اكتبوا القرآن، ولاتكتبوا شيئا سوى القرآن، ومن كتب شيئا سوى القرآن فليمحه) – كما تقدم البيان –، ثم جمع أبي بكر له، ثم استنساخ عثمان له، وبقاؤه إلى اليوم تملأ نسخه الآفاق.

● **حفظ معانيه**، فمعناه حفظ شرائعه العلمية والعملية على مراد الله من عباده بلا تبديل فيها، وفي تسميته فرقانا إشارة إلى ذلك، لأنه مراعا في تسميته به كون شرائعه تفرق بين الحق والباطل .

وحفظ معانيه ظاهر في جهتين : الأولى :حفظ دلائل ظاهر نصه ،وقد يسره الله للذكر كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر١٧ و٢٢و٣٢ و٤٠) ، وأخبر أنه أنزله ليدبر الناس آياته التي يقرؤونها، فهو ميسر للفهم معانيه، قال تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (ص:٢٩) — وتيسير القرآن للذكر من خصائصه وسيأتي الكلام فيه – .

الثانية : حفظ سنة النبي صلى الله عليه وسلم المبينة له بالتفصيل والتخصيص والتقييد وتعيين الناسخ والمنسوخ ونحو ذلك مما هو تفسير للقرآن وتفصيل لشرائعه.

وحفظ الله سنة نبيه ظاهر بين لا خفاء فيه، فقد جعل الله لهذه الأمة خصيصة لم تكن لأمة قبلها في تلقي كلام الأنبياء وهي (الإسناد)، وقد درج أهل الحديث على دقة

النقد للروايات من جهتين : من جهة السند، ومن جهة المتن . ثم هم يبحثون السند من جهتين : من جهة أفراد رواته، ومن جهة مجمل السند. وفي بحثهم في أفراد الرواة يرصدون أمرين : معرفة عين الراوي ومعرفة حاله، وفي معرفة عينه يرصدون ضبط اسمه وكنيته ولقبه ونسبه ومحال ولادته وإقامته وتنقله وما قام به من صفات فارقة كالعرج والعمش والعور والعمى ونحو ذلك، وفي معرفة حاله يرصدون عدالته و منزلة حفظه وضبطه. وفي بحثهم في مجمل السند يرصدون أمرين : اتصاله بسماع الرواة بعضهم من بعض، وحال تلقي الرواة بعضهم عن بعض، فقد يكون السند متصلا برواية عدول حفاظ ضابطون ولكن فيهم من روى بالعنعنة وهو معروف في طبقة من طبقات المدلسين، وقد يكون السند متصلا بسماع رواة عدول حفاظ ضابطون يحدث بعضهم عن بعض إلا أن فيهم من سمع من شيخه حال اختلاطه، وفي بحثهم في المتن رصدوا مااتفق عليه الرواة، ومااختلفوا فيه، وما انفردوا به، وماشذوا فيه. وهكذا درجوا على دفع الثقة

بالرواية بأدنى علة يرصدونها، وقيدوا قبول الرواة والروايات بقيود ثقال تدفع أدنى ريبة، وتوجب الثقة التامة التي لا يخرمها شئ، حتى صار العلم بما حكموا بثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم في الثقة والقوة كأنما سمعه كل من تلقاه على العصور من رسول الله نفسه صلى الله عليه وسلم .

● **حفظه في العمل به** : وهذا حفظه بأن يعمل بشرائعه - العلمية اعتقادا، والعملية امتثالا - على مراد الله، وهذا يبينه قوله صلى الله عليه وسلم : (لن يبرح هذا الدين قائما، يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة)[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم : (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس)[2].

ومن تمام تكفل الله بحفظ كتابه (القرآن) أن يرفعه إليه قبل يوم القيامة، وذلك حين تنمحي آثار الإسلام من

---

(١) أخرجه مسلم٣/١٥٢٤ رقم١٩٢٢ .

(٢) أخرجه مسلم ٣/١٥٢٤ رقم ١٠٣٧.

الأرض فلا يكون فيها من يقول لا إله إلا الله، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ولَيُسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية)[١]، وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه موقوفا : (أكثروا تلاوة القرآن قبل أن يرفع، قالوا : هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال ؟، قال : يسرى عليه ليلا فيصبحون منه فقراء)[٢]، وعنه رضي الله عنه موقوفا أيضا :(ليسرين على القرآن ذات ليلة ولا يترك لآية في مصحف ولا في قلب أحد إلا رفعت)[٣]، ورفع القرآن هذا هو أحد وجهي رفع العلم الذي ورد في الحديث الصحيح أنه من أشراط

(١) أخرجه ابن ماجة ١٣٤٤/٢ ح ٤٠٤٩، وصححه في الزوائد ٣٠٧/٢ رقم ١٤٢٩، والحاكم ٤٧٣/٤ و٥٤٥، ووافقه الذهبي، وهو في الصحيحة رقم ٨٧.

(٢) أخرجه الدارمي ٤٣٨/٢.

(٣) الدارمي ٤٣٨/٢.

الساعة[١]، والوجه الآخر قبض العلماء، والله أعلم .

تيسيره للذكر :

قال الله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ (القمر١٧ و٢٢و٣٢ و٤٠) ، ومعنى تيسيره للذكر :

٣- تيسير ألفاظه للحفظ، فإن الكتب قبله لم تكن متيسرة الحفظ كتيسير حفظ القرآن، فلم تكن التوراة مثلا ميسرة للحفظ وذكر أنه لم يحفظها إلا نفر قليل من أنبياء بني إسرائيل لايتجاوزون عدأصابع اليد الواحدة، ولهذا جاء في صفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة : (أناجيلهم في صدورهم) .

٤- وتيسير معانيه للفهم.

٥- وتيسير أحكامه للعمل بها .

ومن تيسير القرآن للذكر ماتقدم من أنه أنزل على سبعة أحرف، وقد ورد أن هذا من خصائصه، ففي

---

(١) أنظر صحيح البخاري مع الفتح ١٧٨/١ح ٨٠ .

المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (كان الكتاب يترل من باب واحد على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف)[١].

كونه هو المعجزة للرسالة :

قال صلى الله عليه وسلم : (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات مامثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)[٢]، وقد كانت معجزات الأنبياء تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي، فتأتي المعجزة دالة على صدق الوحي، أما القرآن فهو نفسه الوحي والمعجزة معا، فليس هو في حاجة إلى دليل مغاير بل دليله في نفسه، ولذلك كان أعظم معجزات الرسل وأوضحها وأقواها على صدق

---

(١) أخرجه أحمد ٢٨٣/٧ رقم ٤٢٥٢ وابن حبان في صحيحه – الإحسان ٦٢/٢-٦٣ رقم ٧٤٢ و الحاكم ٥٥٣/١ ووافقه الذهبي، وهو في الصحيحة ٢/ ١٣٣ رقم ٥٨٧، وقال ابن حجر فيه في الفتح ٢٩/٩: (في تصحيحه نظرلانقطاعه).

(٢) أخرجه البخاري، الصحيح مع الفتح ٣/٩ ح ٤٩٨١.

رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

و الحكمة من كون القرآن هو ذاته معجزة الرسالة المتحدى بها ؛ أن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم عامة في الخلق إلى قيام الساعة، لا رسالة بعدها للخلق، بها انقطعت النبوة والوحي، وليس بعدها إلا انقضاء الدنيا وقيام الساعة، فلابد من أن يبقى معها دليل صحتها وهو الإعجاز المتحدى به لتبقى الحجة لها على الخلق، فكان الوحي هو ذاته المعجزة لذلك، يشهد به الخلق في كل عصر الشرعة ودليلها معا فتلزمهم الحجة، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحديث : (فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) فإن معجزات الأنبياء تنقرض بانقراض أعصارهم فلا يشاهدها إلا من حضرها، أما القرآن فمعجزة مستمرة إلى قيام الساعة يخاطب الناس كلهم بها،فإذا كانت معجزات الأنبياء الماضية حسية تشاهد بالأبصار فإن معجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه صلى الله عليه وسلم لأجلها أكثر، (لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد

الأول مستمرا)[١].

ولهذا لم يكن إعجاز القرآن محصورا في لفظه وتحدي العرب به - وهم الذين خوطبوا به أول الأمر - فحسب، بل إن (الإعجاز في معناه أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه، وجميع عقلاء بني آدم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه)[٢]، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه للناس شئ من إعجاز القرآن تلزمهم به الحجة، قال ابن تيمية : (كل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه، ولا تناقض في ذلك، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له)[٣].

وكون القرآن هو معجزة الرسالة أقوى داع لتكفل الله بحفظه - كما تقدم -، حتى لا تكون للناس حجة في دعوى تبديل أو تحريف.

---

(١) مابين القوسين في الفتح ٧/٩.

(٢) مابين القوسين عبارة ابن تيمية في الجواب الصحيح ٧٨/٤.

(٣) الجواب الصحيح ٧٥/٤.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

مقدمة ٥
المراد بالكتب ٧
المراد بالإيمان بالكتب ١٠
تسميات الكتب ١١
حكم الإيمان بالكتب ١٤
مترلة الإيمان بالكتب من الدين ١٨
الحكمة من إنزال الكتب ١٩
الواجب على العباد لكتب الله ٢٤
صفة الإيمان بالكتب الواجب على العبد ٣٠
الإيمان بكتب الله جملة من غير تفريق بينها ٣٣
اتفاق كتب الله في الملة والأصول وتنوع شرائعها ٤٠
كتب الله مترلة منه على رسله ٤٥
نوعا اختلاف الخلق في تتريل الكتب ٥٨

عدد كتب الله ٥٩
التوراة ٦٢
معنى اسم (التوراة) وأصل اشتقاقه ٦٢
صفة نزول التوراة ٦٧
وقت نزول التوراة ٦٨
هل بين التوراة والألواح والصحف فرق؟.......... ٦٨
محتويات التوراة ٧٤
الزبور ٧٨
معنى الاسم وزمن الترول والمحتويات ٧٩
الإنجيل ٨٠
معنى الاسم وزمن الترل والمحتويات............... ٨٠
صحف إبراهيم عليه السلام ٨٤
تحريف التوراة والإنجيل ٨٧
اختلاف أهل العلم في صورة تحريف أهل الكتاب كتابهم . ٩١
الواجب على المسلم في الإيمان بالتوراة والإنجيل ٩٦

طرق العلم بما في كتب أهل الكتاب وأحكامها ٩٧
التحديث عن بني إسرائيل ١٠٤
هل للمجوس كتاب، وما كتابهم إن كانوا أهل كتاب؟ ١٠٦
القرآن الكريم ١١٧
معنى لفظ (القرآن) واشتقاقه ١١٧
صفة نزوله وكتابته ١٢١
جمع القرآن ١٢٧
تأليف القرآن ١٣٣
بعض خصائص القرآن........................ ١٣٦
فهرس الموضوعات ١٤٩